جامعة جنوب الوادي

كلية الآداب بقنا

قسم علم الاجتماع

علم الاجتماع الحضري

إعداد

أ.د. سلوى محمد المهدى أحمد

أستاذ علم الاجتماع بكلية الآداب

٢٠٢٤-٢٠٢٥

الكلية : الآداب

الفرقة : الثالثة

عدد الصفحات:١٥٣

المؤلف : أ.د. سلوى محمد المهدي أحمد

الرموز المستخدمة

نص للقراءة

المحتوى العلمي

المقدمة ٥
الفصل الأول: ماهية علم الاجتماع الحضري ٨
الفصل الثاني: الحضر والتحضر ١٢
الفصل الثالث: النظم الإجتماعية الحضرية ٣٦
الفصل الرابع: مشكلات التحضر ٦٥
الفصل الخامس: الفروق الريفية الحضرية ١٠٣
الفصل السادس: التحضر والعنف ١٣١

المقدمة:

يكتسب الحديث عن قضية التحضر أهمية خاصة فى هذه الآونة لما يسببه من تغيرات بنائية ووظيفية وتاريخية داخل الدول سواء المتقدمة منها أو النامية فالتحضر ينتسب إلى التغير السريع الذى يؤدى إلى انهيار كثير من الأوضاع القديمة، التي تثير صراعاً بين القديم والحديث فيؤدى إلى نشأة طبقات اجتماعية جديدة، وذلك ما يؤدى إلى سهولة التقدم لبعض القطاعات والتأخر المزعج لبعضها الآخر، فالطابع الذى يغلب على حياتنا الآن هو طابع الحياة المتحضرة حتى أن " ريد فيلد" قد تنبه إلى ذلك وذهب إلى القول بأن القروية فى طريقها إلى الزوال ولابد من دراسة المناطق الريفية قبل أن تضيع وتنطمس معالم الحياة الريفية المميزة لها نتيجة لسيطرة الخصائص الحضرية عليها.

وربما ينطبق ذلك على المجتمعات الغربية التى تأخذ بأساليب التحضر فى جميع مجالاتها، كما أنها تتميز بالرخاء الاقتصادى الذى يساعدها على إحراز مستوى هائل من التقدم، أما داخل مجتمعاتنا النامية وإن كانت آخذة بالأساليب الحديثة في التصنيع ومحاولة الأخذ بالأساليب الحضرية في مجالات الحياة الأخرى إلا أن الطابع الريفي يغلب على كثير من مناطقها.

ولعل أهم خصائص التغير الديموجرافى الذى تشهده الدول النامية اليوم.– والذى يثير قلق الحكومات لما يتضمنه من مخاطر وتحديات على كافة المستويات البيئية والاقتصادية والسياسية والاجتماعية والنفسية – النمو السريع للمدن الرئيسية بصفة خاصة ونمو القطاعات الحضرية على حساب القطاعات الريفية بصفة عامة .

ونظراً لانتشار ظاهرة التحضر بهذه القوة خلال القرنين التاسع عشر والعشرين سواء في أمريكا وأوروبا أو فى دول العالم الثالث، ظهرت العديد من الدراسات التي تقوم بدراسة هذه الظاهرة، ولقد دخلت الدراسات الحضرية الحياة الجامعية وتشعبت في تخصصات كثيرة منها علم الاقتصاد وعلم الاجتماع وتخطيط المدن والصحة العامة والإدارة العامة والتعليم والهندسة والخدمة الاجتماعية والقانون والجغرافيا والعلوم السياسية وغيرها، ولأهمية التحضر فهو يحظى باهتمام الكثير من العلوم والكثير من المراكز العلمية، بل والأشخاص، مثال على ذلك نجد المركز المشترك للدراسات الحضرية فى هارفارد The joint center for urban studies at Harvard, يهتم بالاتصال والمواصلات فى المجتمع المتحضر والتصميم الحضرى والحكومة والسياسة الحضرية وتاريخ المدن وتركيبها ونموها وكذلك المشكلات الحضرية والإقليمية للدول النامية.

ومن داخل الخضم الهائل من الدراسات والآراء المختلفة في اتجاهات التحضر ومدى تأثيره السلبي والإيجابي على الأمم المختلفة نجد الآتي:-

إن بعض الباحثين والكتاب يرون في التحضر نعمة كبيرة وطريقاً إلى النمو الاقتصادى ومنبعاً للإبداع والتفكير الخلاق والفضيلة والدينامية وهو الذي يوفـر الفرصة لحياة مريحة ومرضية، والبعض الآخر رأى فى التحضر نقمة والمدينة مكاناً للفقر والجريمة والعنف والفساد ومن هؤلاء "جورج جينسنج " George Gissing الذي عاش الفقر في لندن وفى شيكاغو وكتب عنه ووصفه بشكل مخيف.

حقيقة إن التحضر أغلبه نعمة وليس نقمة إذا ما أخذنا به في جميع المجالات الحياتية وليس بعضها دون الآخر، فهو نعمة يرغبها الجميع، فالإنسان بطبعه ينشد الجديد إذا ما اقتنع به وحقق له النفع والرفاهية

وفي هذا الكتاب لعلم الاجتماع الحضري يتم تناول ظاهرة التحضر والمدن من خلال خمسة فصول تتناول :

ماهية علم الاجتماع الحضري وخصائص المجتمع الحضري ومعايير وأنماط التحضر وكذلك النظم الاجتماعية في المجتمع الحضري والمشكلات المختلفة التي يعاني منها المجتمع الحضري وأخيرا يتناول الكتاب الفروق الريفية الحضرية في المجتمعات المحلية .

الفصل الأول

ماهية علم الاجتماع الحضري

ماهية علم الاجتماع الحضري

يعرف هذا العلم بأنه علم اجتماع حياة المدينة حيث ينظر إلى المدينة ويحللها كظاهرة اجتماعية في ذاتها إلى جانب دراسة المشكلات الخاصة بها، ويعد علم الاجتماع الحضري أحد فروع علم الاجتماع العام (Sociology) وبالرغم من أن هذا العلم يتشابك مع اهتمامات علوم الجغرافيا والسياسة والاقتصاد والانثروبولوجيا والخدمة الاجتماعية وتخطيط المدن إلا انه في الواقع يتجاوز الموضوعات الأكاديمية لهذه العلوم بتركيزه على دراسة أحوال المدن بظواهرها الاجتماعية حيث أن نمو المدن اصبح يفرض نفسه إذ تمتاز ظاهرة التحضر الاجتماعي وهي التي يقصد بها – اتساع حجم المدن وتزايد أعداد وتسب السكان بها إلى مجموع سكان المجتمع – بديناميكيتها التى تحمل في مضمونها عناصر التغير السريع مما يؤدى إلى تغيير اجتماعي بناني ووظيفى عميق، قد يأخذ المجتمع من حالة الريف إلى التحضر وينعكس هذا التغيير البناني على النواحى الوظيفية، مثل التطور الحاد الذي يتصل بالأسرة وامتدادها والعلاقات الاجتماعية بين أفرادها وتطور النظام الابوى ليتلائم مع الحاجات الحضرية والصناعية.

وعموما يتناول علم الاجتماع الحضرى الحياة الحضرية أو المدينة وما يتخللها من بناءات ودعائم ونظم وتيارات اجتماعية بالدراسة والتحليل كما يقوم بتفسير المظاهر المميزة للتنظيم الاجتماعي في مناطق الإقامة الحضرية وتأثير الحياة الحضرية على الأفعال الاجتماعية، ويتناول الحياة الحضرية أو المدينة فى نشأتها وتطورها ووظائفها وأجهزتها الإدارية والفنية وتقسيمها الطبقى والمهنى ومستوياتها التكنولوجية ومشكلاتها، ويهتم كذلك بالمصالح والحقائق التي تواجه إنسان المدينة مدفوعا بعوامل اجتماعية واقتصادية و سياسية وادارية وتكتيكية وفن وتكنولوجيا، ويربط التنمية والوظائف الحضرية بالإطار الفيزيقي.

ويدرس علم الاجتماع الحضرى هذه الظواهر دراسة علمية تحليلية مقارنة لشرح ما هو كائن، وليس لبيان ما ينبغي أن يكون مستهدفا بذلك الوصول إلى القوانين التي تحكمها، وهو ما يماثل فى ذلك علم الاجتماع السياسي وعلم الاجتماع الاقتصادى وعلم الاجتماع الدينى والعائلى وهكذا.

كما يدرس علم الاجتماع الحضرى التجمعات السكانية التي تعيش في الحضر ، ويقصد بالحضر المدن في مقابل الريف. ويعرف الحضر بأنه نوع من المجتمعات يتميز بكثافة السكان في موقع معين وينظمون حياتهم وفقا لأساليب تختلف عن أساليب سكان الريف. إذ أن السكان الذين ينتمون إلى المجتمع الحضرى يمتازون بصفات معينة من أجلها رغبوا فى الحياة الحضرية ومارسوها كما طبعتهم هذه الحياة بطابع معين يتميزون به عن سكان الريف ولذلك كان علم الاجتماع الحضرى ذا صلة كبيرة بعلم الايكولوجيا الإنسانية Human Ecology وهو العلم الذي يدرس تأثر المجموعات البشرية اجتماعيا بالبيئة الطبيعية التي ترتبط بها.

وعلى جانب آخر فإن علم الايكولوجيا يدرس توزيع الجماعات الإنسانية والمنظمات التي تقومة بخدمتها والوظائف التي تؤديها والعمليات الكامنة وراء هذا التوزيع، أو بعبارة أخرى يدرس علم الايكولوجيا التفاعل بين الجماعات البشرية وبين المكان الذى تستقر فيه، إذ أنه نتيجة هذا التفاعل تنشأ فى افراد الجماعة ميول عقلية وروابط عاطفية متبادلة بسبب التجاور والتعامل بينهم تؤدى إلى زيادة التماسك فإنهم يمارسون شعورهم بالانتماء إلى ثقافة خاصة تتكون من لغة او لهجة معينة وعادات وتقاليد مشتركة ويتأثرون بمشاعر واحدة. ويتصرفون وفق اتجاهات سلوكية نحو الأحداث التاريخية والبيئة الطبيعية تختلف عن تصرفات غيرهم ممن يسكنون بيئة مختلفة.

وتعرف المدينة أو المجتمع الحضرى بأنه البيئة الإنسانية المتجمعة فى موقع محدود وتتسم بأنها لا تكتفى بنفسها، ويقوم وجودها على تقسيم العمل وعلى العلاقات المادية والمنافسة وسهولة الحركة الاجتماعية الأفقية والرأسية.

ويقابل علم الاجتماع الحضرى علم الاجتماع الريفي Rural Sociology وظهر علم الاجتماع الريفى قبل ظهور علم الاجتماع الحضري، فقد كرس مؤتمر علم الاجتماع الامريكى الذى انعقد عام ١٩١٦ جهده لموضوعات علم الاجتماع الريفي. بينما كرس مؤتمر علم الاجتماع الامريكي الذي انعقد عام ١٩٢٥ نشاطه لعلم الاجتماع الحضرى.

وقد جذبت ظاهرة التحضر أنظار علماء الاجتماع لأربعة أسباب هي: -

١ - تعتبر ظاهرة التحضر ظاهرة حديثة نسبيا، إذ ما قورنت بالظواهر الاجتماعية الأخرى كاللغة والدين والتدرج الاجتماعي والعائلة فقد نمت عملية التحضر والتي يقصد بها معيشة نسبة كبيرة من السكان فى المدن فى مرحلة متأخرة من التاريخ الانساني.

٢- يؤدى التحضر إلى تغيير في نمط الحياة الاجتماعية وهو ينتج عن التنمية الاقتصادية ويؤثر في كل مظاهر الوجود ويمتد أثره إلى الحياة الريفية.

٣- تتركز السلطة والنفوذ فى المدن وتمتد هذه السلطة إلى أجزاء المجتمع ريفه وحضره.

٤- أن عملية التحضر مستمرة حتى الآن كما لم تحل الكثير من مشاكلها.

وتبدو أهمية هذا العلم فى أن علماء علم الاجتماع الحضرى ومخططي المدن يواصلون توجيهاتهم المهنية، ويتبادلون دراسة المشاكل والمعرفة فيما بينهم فعلماء الاجتماع

يدركون السلوك الانسانى فى المدينة، الذى لا يدركه مخططو المدن ويؤدى هذا التعاون فيما بينهم إلى تخطيط المدينة على احسن وجه.

الفصل الثاني

الحضر والتحضر

أولاً :- لمحة تاريخية عن ظاهرة التحضر.

ثانياً- مفهوم التحضر.

ثالثاً- معايير التحضر.

رابعاً- أنماط التحضر.

خامساً- خصائص المجتمع المتحضر.

أولاً: لمحة تاريخية عن ظاهرة التحضر :

يساير التحضر فى ظهوره وتطوره تقدم الإنسان الاجتماعي فعندما تقدم الإنسان عقلياً وابتدع الثقافة والحضارة بمقوماتها المختلفة تقدمت المدينة وتبلورت كنمط ثقافي وحضاري وأسلوب معيشة فهي قوام الثقافة والحضارة والاجتماع والدين والاقتصاد والسلطة.

ويؤكد استعراض تطور التاريخ البشرى من منظور علم الاجتماع الحضرى أن هناك نمواً مطرداً للخبرة الحضرية وأن هذا النمو كان إلى حد كبير انعكاساً واضحاً لتزايد التعقيد الاجتماعى الذى بدأ على أنه استجابة لظروف اجتماعية وثقافية وجغرافية فى فترات تاريخية متعاقبة.

وإذا ما تتبعنا ظهور عملية التحضر عبر التاريخ نجدها قد مرت بمراحل بعدة مراحل نذكرها بلإيجاز:

(١) المرحلة الأولى :

مرحلة الفولك:

وهى مرحلة ما قبل التحضر، امتدت منذ ظهور الإنسان على سطح الأرض حتى سنة ٥٥٠٠ ق.م ذلك التاريخ الذى عرفت في البشرية أول أشكال الاستقرار الحضرى فى هذه المرحلة انتظم سكان العالم فى تجمعات "فولك" كانت عبارة عن جماعات صغيرة ذات اكتفاء

ذاتي، انتظم العمل بين أفرادها على أساس من الســـن والجنس كمعايير لتقسيم العمل وتمايز الأدوار وكانوا يعملون بالصيد، ونظمت العلاقات الاجتماعية على أساس القرابة، وأهم ما يميز هذه المرحلة أن تراثها كان يتناقل ويحفظ بين الأجيال شفاهة وليس كتابة.

(٢) المرحلة الثانية:-

مرحلة التحضر المبكر:

تمثل هذه المرحلة أول ثورة حضرية شهدها التاريخ البشرى، فيها تغير وجه الحياة الإنسانية من حالة جمع والتقاط الغذاء إلى عملية انتاجه وفيها عرفت لأول مرة حياة الاستقرار ، وأهم العوامل التي دفعت إلى ذلك تطور الزراعة وقد سجلت هذه المرحلة الاولية من مراحل التحضر عددا من التغيرات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية مثلت في نظر "جوردون تشايلد" معايير أساسية للبدايات الأولى للتحضر يمكن تلخيصها في :

١ ظهور مستوطنات كبيرة الحجم كثيفة السكان.

٢- ظهور طبقة الحرفيين والصناع.

٣ - ازدهار النشاط التجارى واتساعه

٤ - ظهور جماعات الصفوة المتحضرة.

٥ - اختراع وسائل التسجيل كالكتابة والعد والقياس

٦- تشييد المبانى والمنشآت الضخمة لترمز إلى تركيز القوة السياسية والاقتصادية.

(٣) المرحلة الثالثة:-

مرحلة الإحياء الحضرى :

وتمتد هذه المرحلة من سقوط الإمبراطورية الرومانية في القرن الخامس الميلادى حتى حدوث الثورة الصناعية، وقد شهدت هذه المرحلة زيادة ملحوظة فى عدد سكان المدن إلى جانب زيادة عدد المستوطنات الحضرية ولعل أهم ما شهدته هذه المرحلة نمو مدن العواصم التي تركزت فيها السلطة الحاكمة والقوة العسكرية إلى جانب جماعات الصفوة التى جذبت للعيش بجوار السلطة الحاكمة.

(٤) المرحلة الرابعة :-

مرحلة التحضر السريع :

بدأت مع بداية القرن السادس عشر حيث نشطت فيها بعض العوامل التى بلغت من قوة تأثيرها درجة جعلت المؤرخين يطلقون عليها اسم الثورات كالثورة الزراعية التي حققت مستوى عاليا من الإنتاج الزراعى .

أما الثورة التكنولوجية فكانت بمثابة نقطة الانطلاق البارزة للتحضر فى العصر الحديث، كما ساعدت على قيام المدن الكبرى وأدت بالتالى إلى ثورة الوجود الإنساني برمته وزيادة أعداد المهاجرين إلى المدن كما أن هذه الثورة التكنولوجية تبعتها ثورة تنظيمية.

وجدير بالذكر أن الحضر قد ظهر وتجسد فى المدينة منذ حوالى ستة آلاف سنة في منطقة الشرق الأدنى وفى منطقة حوض البحر الأبيض المتوسط فيما بعد.

وبعد هذه الثورات ومنذ بداية القرن العشرين وصل الحضر إلى درجة كبيرة من التضخم الحضرى أو ما يعرف بالمدن الإقليمية "المتروبولتيان"، حيث اتسعت الصناعة وتطورت ومما ساعد على زيادة نمو المدينة في القرن العشرين العوامل الآتية:

١- وجود المرافق والخدمات الحضرية العامة كالإنارة والطرق وغيرها.

٢- كثرة المصانع والآلات التي تسيرها القوى المحركة الكهربائية.

٣- قيام المؤسسات الاجتماعية والروابط المهنية والمراكز العلمية في المدن.

ومن ناحية أخرى نجد أن أهم ما يميز العالم الآن هو التزايد الهائل في عــدد سكانه ومن ثم تركز نسبة كبيرة منهم داخل المناطق الحضرية.

فمنذ سنة ١٦٥٠م زاد عدد سكان العالم " ست مرات" وارتفع عدد سكانه من ٥٠٠ مليون نسمة إلى أكثر من (٣) مليار سنة ١٩٦٤م وصاحب ذلك زيادة في عدد سكان الحضر، أما الآن فقد أصبحت الزيادة أكبر حيث وصل سكان العالم إلى ٨,٥ مليار نسمة عام ٢٠٢٣.

وعن توزيع السكان على المدن الحضرية ففي سنة ١٨٥٠م تحدد حوالي (٢%) من مكان العالم يعيشون في مدن بكثافة (١٠٠,٠٠٠) نسمة أو اكثر واليوم حوالى (٢٥%) من السكان يعيشون فى تلك المدن، وفي أمريكا حوالي ثلثى السكان يعيشون فى المدن التى كثافتها (١٠٠,٠٠٠) نسمة.

وقد لوحظ أن نسبة التحضر فى الدول العربية تسير بسرعة أكبر من نسبته في العالم، حيث تصل معدلات التحضر العالمى بين ٤% إلى ٤,٥% في السنة تجد أن الدول العربية تتجه نحو التحضر بمعدلات تتراوح بين ٤.٥% إلى ٥.٥% في السنة، كما تتفاوت سرعة التحضر بين دول عربية وأخرى حسب المعطيات السياسية والاقتصادية والثقافية التي تلعب دوراً هاماً في الحراك السكاني من الريف نحو المدن.

وبالنسبة لجمهورية مصر العربية فتعتبر ذات درجة عالية من التحضر إذا ما قورنت بالدول النامية الأخرى، وبالرغم من أنه حدثت زيادة في نسبة التحضر بها من ٤١% سنة

١٩٦٠ إلى ٤٤% سنة ١٩٨٠ إلا أن نسبة التحضر على المستوى القومي تبدو ثابتة نسبيا حيث وصلت في ٢٠٢١ إلى ٤٢.٩%.

ومن ناحية أخرى نجد أن اختلاف تحضر العالم الثالث عن مثيله العالم المتقدم صناعيا ليس في النسبة فقط ولكن فى عوامل التحضر ، فأولاً: أكثر من نصف نسبة النمو في مدن العالم الثالث ينبع من زيادة نسبة المواليد عن نسبة الوفيات حيث النمو السكاني ٣:٤ سنويا، وثانيا: إن كثيرا من مدن العالم الثالث الكبيرة النامية لم تكن مدناً صناعية ولكن تتركز فيها الحكومة والمراكز الإدارية والتجارية.

أما في المجتمعات المتقدمة فقد ساعدت التطورات التكنولوجية والتنظيمية المستمرة على ظهور تجمعات التحضر السريع خلال القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين في أوربا وأمريكا الشمالية، وفى الغرب يعتبر التحضر مقدمة ونتيجة للتصنيع السريع، وذلك بعكس التحضر فى المناطق المتخلفة اقتصاديا حيث نشأت المدن الرئيسية مثلا فى جنوب شرق آسيا نتيجة للتنمية الاقتصادية الموجهة نحو بعض البلاد الأجنبية أكثر مما نشأت نتيجة للنمو الاقتصادى القومي، أي أنها تمت وتطورت كحلقات بين البلدان المستعمرة والبلد الأم.

ومع تطور وزيادة عملية التحضر عبر التاريخ كان الإهتمام بهذه الظاهرة – وبدأ هذا الاهتمام فى القرن السادس عشر على نحو ما ذهب إليه جدون سجوبرج" Gideon Sjoberg في دراسته بعنوان "علم الاجتماع الحضرى المقارن"، والتي أشار فيها إلى أن القرن السادس عشر يعتبر البداية الفعلية لبداية الصياغة النظرية للدراسات الحضرية وذلك حينما نشر جيوفاني بوثرو" Giovanni Bothro لأول مرة دراسته الشهيرة حول عظمة المدن The Greatness of Cities ثم كانت المحاولة الثانية سنة ١٨٦٩م في القرن

التاسع عشر عندما كتبت أدنافيير " Wer ... Adnan بحثها السوسيولوجي الذي يحمل عنوان "نمو المدن فى القرن ١٩ ثم تلى ذلك مؤلف ماكس فيير Max Where الشهير الذي يعتبر أول دراسة كلاسيكية فى علم الاجتماع الحضرى تحت عنوان "المدينة "، وهذه الدراسات تقوم بصورة أساسية على التناول المقارن للحضرية.

ومن دراسات القرن التاسع عشر أيضاً دراسة " فوستيل دى كولانج" Fustel De coulanges سنة ١٨٤٦م ودراسة تشارلز بوث C. Booth سنة ١٨٩١م عن حياة وعمل سكان مدينة لندن Life and labour of the people of London ، أما في القرن العشرين، فقد لاقت دراسة التحضر رواجا كبيرا، وقد جاءت نظرية ويرث" Wirth عن التحضر كنتيجة مثمرة ومشجعة للبحوث التجريبية العديدة التي أجرتها مدرسة شيكاغو عن المدن الأمريكية، أيضا دراسة ريزمان L. Reissman فى محاولته لتحديد الشروط لإقامة المجتمع المتحضر.

نستخلص من ذلك أن ظاهرة التحضر قد لفتت الأنظار إليها منذ زمن بعيد واتجه كثير من العلماء لدراستها، وقد مرت عملية التحضر بأربع مراحل منذ ظهورها إلى الآن.

- ترتبط عملية التحضر بعدة محكات رئيسية مثل ارتفاع عدد السكان والنمو السريع للمدن الرئيسية، وأهم ما ارتبط بالتحضر الثورة الصناعية والتكنولوجية وما تبعها من ثورة تنظيمية.

- هناك اختلاف بين تحضر العالم الثالث ومثيله في العالم المتقدم من حيث التحضر والعوامل المؤدية إليه.

ثانيا: مفهوم التحضر :-

لقد تعددت المفاهيم التى تناولت مصطلح التحضر واختلفت فيما بينها أو تشابهت طبقا للمتغير الذى يتخذه الكاتب معيارا للتحضر.

وهناك مفهوم يربط بين هذين العنصرين هو أن التحضر يوضح انتشار المراكز الحضرية وسيادها ونموها في المجتمع ويغير من الحياة الريفية ويشكل علاقاتها الاقتصادية والسياسية، كما أنه يخلق حياة المدينة، وعلى هذا فإن نتيجة التحضر تشمل تغير نماذج الحياة وتنظيم الأوجه السياسية والاقتصادية والاجتماعية لها، على حين يشير مفهوم التحضر من خلال قاموس العلوم الاجتماعية إلى أربعة معانى، يعنى أولها انتشار التأثير الذى ينتج عن المراكز الحضرية إلى أقصى الريف وثانيها أن التحضر رمز لظهور سمات الحضرية للسكان، وثالثها أن التحضر عملية تركز سكان، ورابعها يرى فى التحضر زيادة للسكان الحضريين على حساب بقية السكان .

وعندها نبحث في مفهومات التحضر نلاحظ الخلط بين مفهومي التحضر والحضرية حيث إنهما متداخلان، ويعد الحد الفاصل بينهما بسيط للغاية، حتى أن بعض الدراسات تستخدمهما بنفس المفهوم إلا أن بعض الباحثين أوضحوا الفرق بينهما، فقد أوضح محمود الكردي أن الخضرية Urbanism هي اتجاه يتجسد في ظاهرة تشهدها كل المجتمعات البشرية وتعني إقامة الناس واستقرارهم في تجمعات حضرية وقد تأخذ شكل المدن) وتتبلور في التغير النوعى الذى يحدث فى أنماط تفكيرهم وسلوكهم تجاه الأنشطة السائدة ونمو التنظيمات القائمة،

أما مصطلح Urbanization فرغم صعوبة تحديده بشكل مغاير عن الحضرية إلا أنه لا يخرج عن كونه عملية ونتيجة فى ذات الوقت، فهو عملية من عمليات التغير الاجتماعي تتم عن طريق انتقال أهل الريف إلى المدينة وإقامتهم بمجتمعها المحلي، أو عملية إعادة توزيع السكان من الريف إلى المدن والمراكز الحضرية الأخرى.

وبصفة عامة فإن هناك فجوة تاريخية ضخمة بين الظاهرة والعملية (الحضرية والتحضر) فالظاهرة النوعية (الحضرية) تفوق بكثير العملية الكمية (التحضر) ولعل المجتمعات المتخلفة هي خير شاهد على وجود هذه الفجوة، فتضخم المدن بسكان جدد ينزحون من

الريف عملية تكاد تكون يومية، أما التغير الحقيقي النوعى فى أسلوب الحياة فهو أقل بكثير من ذلك التضخم الذي يرفع من معدل النمو السكاني للمدينة .

وهناك بعض الباحثين الذين يستخدمون الحضرية بمعنى الحداثة Modernity ويتضمن هذا المعنى قدرة المجتمع على الاختراع والإبداع والاستيعاب المتمثل بتقبل المبتكرات الحديثة، كما أنه يشير إلى انتشار النظرة العلمية ومدى استخدام أدوات التطور التكنولوجي.

ولكن التحضر عبارة عن عمليتين: الأولى تتمثل فى نمو وتزايد أعداد المدن والبيئات الحضرية، والثانية تعكس قوى دفع السكان من المناطق الريفية وقوى جذبهم إلى المدن والمراكز الحضرية،

ولعل الخط الفاصل بين الحضرية والتحضر يكاد يكون وهمياً للترابط القوى بينهما ففي كليهما يحدث التغيير فى المجتمع إلى الأرقى والأحدث، إنما يمكن أن نقول أن أحدهما يسبق الآخر فالتحضر يكون أولاً بتركز عدد سكان كبير فى المدينة ثم يحدث التغيير في أسلوب الحياة أو الحضرية، ولكن يمكن أيضاً أن نقول أن الحضرية تحدث في مجتمع دون أن يحدث التحضر فمثلاً يتخذ سكان قرية معينة الحضرية كأسلوب لحياتهم دون أن ينتقلوا من قريتهم لوجود مستوى ثقافى معين مثلا بين سكانها ووسائل اتصال بينها وبين المدينة وغيرها.

و هناك عدة مصطلحات ترتبط بمفهوم التحضر منها :

-التحضر الزائد أو التضخم الحضري Over urbanization:

ويعنى أن سكان الحضر في دولة ما يزداد عددهم لدرجة لا تتوافق مع مستوى تقدمها الاقتصادى،

فمصر مثلا أكثر تحضرا من درجة تقدمها الاقتصادى المتوقع، ولذلك يشير بعض الباحثين إلى مصر على انها زائدة فى تحضرها أو أنها تمر بمرحلة عصيبة من التحضر الزائد ..

التحضر الحدى :

الذى لا يتوافر فيه للمواطن العادى سوى الضروريات فقط وفى بعض الأحيان لا تكتمل هذه الضروريات اللازمة للحياة فى البيئة الحضرية.

مستوى التحضر Level of urbanization :

إذ من المعروف أن الخصائص الحضرية تشتمل على خصائص وأساليب شتى تميز أهل الحضر عن غيرهم من سكان البيئات الأخرى، وهذه الخصائص وتلك الأساليب لن تكون واحدة بل تتباين بتباين الحضر بيئة وحجما وتعقيدا، فضلا عن أن التحضر ليس متمثلا في كل أجزاء الحضر الواحد فهناك مثلا أطراف المدينة وبعض أجزاء أخرى فيها تكون أقرب للريف على حين نجد وسط المدينة دائما ممعن في حضريته.

درجة التحضر Degree of urbanization:

ويقصد بما نسبة سكان المدن إلى مجموع السكان في بلد ما في وقت معين وأن هذه الدرجة آخذة في الزيادة بسبب التضخم الحضرى على حساب الريف.

النمو الحضري Urban growth :

ويشير إلى زيادة عدد سكان المدن ذات الأحجام المختلفة. وإذا ما صاحبت هذه الزيادة زيادة في عدد سكان الريف لا ينتج عنه ارتفاع فى درجة التحضر.

ومن خلال المفهومات المتعددة للتحضر نجد أن كل مفهوم يرتبط بمدلول معين كالمدلول الديموجرافى الذى يشير إلى زيادة التركيز السكاني والمدلول الاقتصادى الذى يشير إلى مرحلة متقدمة من مراحل التطور الاقتصادي البشرى، والمدلول الأيكولوجي حيث سيطرة الإنسان على البيئة الطبيعية واستخدامها لرفاهيته، والمدلول التنظيمي أى الاتجاه إلى تنظيمات اجتماعية أكثر تعقيدا، كذلك المدلول السلوكي حيث سيطرة العلاقات السطحية الثانوية من خلال الروابط المتخصصة وضعف علاقات المواجهة المباشرة وغلبة العقل والمصلحة على العواطف أى يعنى التحضر الانتقال إلى نموذج أكثر رشادة وعقلانية للفعل الاجتماعي والتفاعل.

ونتسائل الآن هل من الممكن أن نكتفى بالنظر إلى عملية التحضر في ضوء مدلول واحد فقط من المدلولات السابقة كي يعطينا المعنى الشامل للتحضر ؟

بالتأكيد ستكون الإجابة بالنفى حيث تشتمل عملية التحضر في المجتمع على العديد من المدلولات.

وإننا لنجد أن علماء الأيكولوجيا المعاصرين قد استخدموا في ذلك ما أسموه بالمركب الأيكولوجى Ecological complex لتفسير أنماط التحضر المختلفة حيث يضمن هذا المركب فى نظر أوينس دنكان O.Duncan "وليو شتور" L.Sehnore الاعتماد على متغيرات السكان والبيئة والتكنولوجيا والتنظيم في تفسير عملية التحضر عبر التاريخ.

ثالثا: معايير التحضر :

يمكن القول أن المجتمع المتحضر وجد مع التطور الذي ظهر في الحياة الإنسانية، وإذا ما تساءلنا عن المعيار الذى نطلق على أساسه على مجتمع ما بأنـــه متحضر فسوف نجد العديد من المعايير، وهى متداخله ويؤثر بعضها في البعض الآخر، لذا لا نتخذ معيارا بذاته للتحضر بل عدة معايير، ومنها ما يلى:

معيار حجم السكان المعيار الإحصائي أو العددي:

ويتخذه بعض علماء الاجتماع الحضرى كمقياس أساسي لقياس التحضر، ولكن إن صح هذا المقياس لدى الدول الأوربية، فهو لا يتلائم مع مجتمعاتنا النامية لأنهم يحكمون على المجتمع الذى يبلغ عدد سكانه ٢٥ ألف نسمة فأكثر مدنا ومجتمعا متحضرا أما المجتمعات النامية فيصل عدد سكانها ضعف هذا العدد ومع ذلك لا تكون سوى مجتمعات ريفية بكل ما تتضمنه من مظاهر التخلف الاقتصادي والتكنولوجي.

وفي ذلك نجد أن "هوب تيسدال" يستند تحليلها للتحضر كعملية للتركز السكان على عنصرين هما تعدد نقاط التركز و زيادة حجم المراكز الفردية، ومن ثم فإن تزايد السكان المقيمين فى مناطق حضرية يصبح مؤشرا إحصائيا دقيقا فى نظرها لقياس عمليات التحضر.

وعلى النقيض من رأى "هوب تيسدال" نجد هناك الآراء التي تبرهن على بطلان فكرة الأخذ بعدد السكان وحده كمعيار للتحضر، ففى الدنمارك توجد مناطق حضرية لا يتجاوز عدد سكانها ٢٥٠ نسمة بينما تجد في "كوريا" أن المنطقة الحضرية تمستلزم وجود ما لايقل عن أربعين ألف نسمة حتي يمكن أن تعتبر كذلك. وعلى هذا لا يمكن الأخذ بالمعيار العددى وإنما لابد من إدخال عناصر أخرى اجتماعية من أهمها:

الخصائص الاقتصادية السائدة – طبيعة العمل – التنظيم الإداري القائم – الكثافة السكانية

وبالرغم من ذلك تجد تأكيد "ارسطو على هذا المعيار كمقياس للتحضر حيث أوضح أن زيادة حجم سكان المدينة فوق حد معين قد يؤدي إلى تغيير طابعها وخصائصها المميزة ، كما يذهب إلى أن حجم المدينة يجب أن يصل إلى حد معين حتى تستطيع الدفاع عن نفسها وتحقيق الاكتفاء الذاتي.

المعيار الاقتصادي:

وهو الاساس الذي ساد في العالم العربي ، فالمجتمعات القروية وفقا لهذا المعيار هي المجتمعات التي تعتمد على الصناعات الأولية في معيشتها ، والمجتمعات المتحضرة تعتمد على الصناعات التحويلية أو الثانوية.

وهناك ترابط بين هذا المعيار الاقتصادي أو النمو الاقتصادي ودرجة التحضر.

فإذا كان هناك نمو اقتصادى فى تخصص معين كالتجارة أو الصناعة وانعكس ذلك على المستوى الحضرى للمجتمع، وأخذ بالأساليب الحضرية في جميع الحالات زادت بذلك درجة التحضر وكان المجتمع إذن متحضرا.

فالنمو الاقتصادي للمدن فى بعض الدول العربية هو الذي جذب سكان الريف نحو المدينة، وبذلك أسهم فى انتشار التحضر بين هؤلاء الناس، فهناك مدن في الشرق الأوسط

نمت وتحضرت بفعل التطور الصناعي، مثل المحلة الكبرى التي تحولت بعد إنشاء شركة مصر للغزل والنسيج من مدينة صغيرة تعدادها في مطلع هذا القرن (٣٠٠٠٠ نسمة) إلى مدينة كبيرة زاد تعدادها زيادة أكبر في هذه الآونة حيث التقدم الواضح في صناعة الغزل والنسيج واتساع نطاق تصديره.

المعيار الإداري :

وفقا لهذا المعيار يعتبر المجتمع المتحضر كل ما هو عاصمة للمحافظة أو المديرية أو عاصمة لمركز على أن يكون المجتمع القروي هو ما ليس عاصمة لمحافظة أو مركز.

وفى الحقيقة لا يمكن الأخذ بمعيار واحد للتحضر بل العديد من المعايير لتشابكها وتداخلها. فطبيعة العمل مثلا لها دور كبير فى التحضر حيث إن المدينة المتحضرة تغلب عليها الأعمال المختلفة من المهن الصناعية والتجارية، كذلك وظائف الخدمات وغيرها، بعكس الريف الذى تغلب عليه الزراعة فقط ولكن إذا ما وجد الريف المتحضر أو المدن ذات الطابع الريفى فإن ذلك ليس في البلاد النامية، إنما في أوربا حيث توجد قرى بأكملها يعمل سكانها بالزراعة، ورغم ذلك هي متحضرة بداية من الأخذ بالأساليب التكنولوجية والميكنة الزراعية والتي تجعل هناك نموا اقتصاديا كبيرا بسبب نمو مجال الزراعة، فينعكس ذلك بدوره على جميع مجالات الحياة وبذلك تزيد درجة التحضر لارتباطها بالنمو الاقتصادى كما ذكرنا آنفها .

ولكن في بلادنا النامية ما زال الريف أقل في درجة تحضره من المدن رغم أنه يحاول الوصول إلى ركب التحضر باستخدام الميكنة الزراعية وبعض من الأساليب التكنولوجية لزيادة الإنتاج الزراعى وما يصاحب ذلك من تغيير طفيف في عادات الناس وقيمهم ونظرتهم للحياة.

الكثافة السكانية :

تنطبق النقائص التى يمكن إلصاقها بتعداد السكان كمعيار للحضرية على استخدام معيار الكثافة السكانية كمعيار للحضرية أيضا، فبغض النظر عن أن الحضرية تحدد بكثافة سكانية تقدر بـ (١٠,٠٠٠ نسمة) في الميل المربع كما يقترح "مارك جيفرسون" فإن من الواضح أنه ما لم ترتبط الكثافة بصفات اجتماعية هامة فإن معيار الكثافة السكانية يصبح أساسا اعتباطيا لتفرقة المجتمعات الحضرية عن الريفية. صحيح أن المجتمع الحضرى يتميز بتجمعات كبيرة ودرجة تركيز سكان عالية نسبيا لا يمكن أن تحدف من تعريف المدينة، لكن يجب أن ترى هذه المعايير بصفتها جزءا من السياق الثقافى العام الذى تظهر وتوجد فيه المدن.

المعيار الضريبي :

حيث إن الضرائب المفروضة على أهل المدن المتحضرة هم عقارية " أما الضرائب المفروضة على أهل الريف فهي ضرائب زراعية .

درجة التمدن :

المدن كثيرة، إنما هناك نسبة في درجة تحضرها، واعتقد أن ذلك يترتب على درجة انفتاحها الثقافي مثلا على مدن أكثر منها تحضرا أو مدنا تختلف عنها في مقدار النمو الاقتصادي ومتوسط الدخل، لكن من الصعب أيضا العمل بهذا المعيار، حيث إن الحياة فى تطور مستمر وتغير في أساليب التحضر ومظاهره فدرجات التحضر في اتجاه متصاعد.

المظهر الخارجي :

هذا المظهر الخارجي يمكن اعتباره معيارا للتحضر حيث إن المدن تكون واضحة بمبانيها الشاهقة وشوارعها وميادينها الفسيحة، بنافوراتها الجذابة و اعلاناتها وأضوائها الخلابة، ووسائل الترفية الواضحة حيث لا وجود لكل تلك المظاهر في المناطق غير المتحضرة.

المعيار التنظيمى :

أى الاتجاه نحو تنظيمات اجتماعية أكثر تعقيدا مع تيار التحضر السائد الذى يشتمل على تطوير وسائل الاتصال والميكانيزمات الاجتماعية والسياسية التي تسمح بإمكانية الربط والتنسيق بين مجالات وكيانات متخصصة ومتمايزة، أى الانتقال من المجتمع البسيط إلى صورة أكثر تعقيدا، وهذه التنظيمات الأكثر تعقيدا مثل النقابات واتحادات العمال وروابط أصحاب العمل لتقابل الاحتياجات المتزايدة لنظام اقتصادى و اجتماعى متحضر ومعقد .

ومن ناحية أخرى نجد أن "تالكوت بارسونز " قد استخدم معيار المتغيرات النمطية كثنائيات Dichotomies وذلك عند الحكم على المجتمعات المتحضرة أو القروية مثل:-

(أ) الخصوصية والعمومية Particularism & Universalism.

(ب) الانتساب القرابي والانجاز الفردي Ascription & Achievement

ويؤكد "بارسونز" أن كل المجتمعات التي ترتكز على العلاقات القرابية تنتشر في مجتمع الخصوصية والانتساب (المجتمع القروى)، بينما يتسم مجتمع العمومية والإنجاز بتقسيم العمل الذى يرتكز على اعتبارات الدقة والحيادية الفعالة المهنية (المجتمع المتحضر).

وهناك بعض الأبعاد الاجتماعية الأخرى التي يمكن أن نعتبرها من معايير التحضر كدرجة العزلة الاجتماعية والمستوى التعليمى والتدرج الاجتماعي أيضا الثورة التكنولوجية فيمكننا اعتبار المجتمع متحضرا بقدر استخدامه للأداوات التكنولوجية الحديثة فى الحياة اليومية والمجالات المختلفة.

إذن فلابد عند دراسة عملية التحضر من الأخذ في الاعتبار بكل المعايير التي تمت معرفتها للتوصل إلى المجتمعات المتحضرة الأصلية.

رابعا: أنماط التحضر :-

تتعدد أنماط التحضر وتتنوع تبعا للمعيار الذي يعتمد عليه في تصنيف المجتمعات الحضرية. ومن أنماط التحضر:

١- "التحضر التقليدي: Traditional Urbanization:

وهو من أبرز أنماط التحضر، والمقصود به الأسلوب المعيشي القائم في نطاق جغرافي محدود بمركز حضري ويتسم بتركيب سكاني من الحضريين المهاجرين من الريف ويسود فيه

النشاط الاقتصادي غير الزراعي إما الصناعي أو التجاري أو الخدمي، وتشيع فيه العلاقات الاجتماعية الثانوية، وتتعايش في ظله القيم الثقافية التقليدية والمستحدثة معا.

ويمثل التحضر التقليدي المراحل الأولى للأشكال الحضرية التي ظهرت منذ فترة من الزمن، ولقد اتخذ صفة التقليدية لتميزه عن الأشكال الأخرى كالتابع والصناعي وغيرها، فضلا عن تميزه بخصائص تقليدية ترتبط بالإطار الثقافي أو الاقتصادي أو التركيب السكان.

الدعائم الرئيسية للنمط التقليدي:

تتعلق هذه الدعالم بالمكان والسكان والنشاط الاقتصادي والتركيب الاجتماعي

(أ) المكان :

يلعب المكان الدور الحاسم في نشأة مراكز العمران البشري عموماء فهو الحير Space الذي يعيش في حدوده عدد من الأفراد بشكل دائم أو مؤقت، ويحاولون تحقيق أهدافهم من خلال معيشتهم المشتركة، ولقد استحت الصراع من أجل البقاء السكاني، كي يتجمعوا في مجتمعات محلية ذات أحجام وسمات مشابهة، لتصبح فيما بعد أكثر تعقيدا حتى تصل إلى شكل المدينة بمضمونها المعاصر.

(ب) السكان:

وهم يمثلون المتغير الحيوي في عملية التحضر، حيث أن المكان يصير عديم القيمة ما لم تنشأ عليه حياة اجتماعية متمثلة في السكان، وحجم السكان يعتمد على العلاقة بين المواليد والوفيات، أيضا على الهجرة، فإذا زاد مثلا معدل المواليد على الوفيات، وارتفع معدل المهاجرين (من الريف للمدينة) أثر ذلك على نمط التحضر، كما أن المشاركة الإيجابية لهؤلاء السكان في الأنشطة المختلفة في المدينة، سواء اجتماعية أو اقتصادية، يؤدي ذلك إلى تغيير أسلوب الحياة الحضري.

(ج) النشاط الاقتصادي:

يعتبر دعامة أساسية من دعائم التحضر التقليدي، حيث النشاط التجاري بجانب النشاط الزراعي يولد ذلك العلاقات الاجتماعية والانفتاح على العالم الخارجي المتحضر، ولكن ما يميز هذا التحول التجاري أنه تدريجي هادئ لا يؤدي إلى تغير سريع في النسق العام للمجتمع، ولكنه يؤثر في النشاط الاقتصادي، ثم في النسق القيمي لظهور التعاملات الجديدة والقيم المادية الحديثة

(د) التركيب الاجتماعي:

وهو يعد العكاسا صادقا للدعائم الثلاث السابقة ، ويمكن تحليل هذا التركيب الاجتماعي إلى:

اللغة: حيث تعدد اللغات في النمط التقليدي .

التنوع الثقافي: لوجود ثقافة كلية يجاورها عدة ثقافات فرعية نتيجة الانفتاح على العالم الخارجي والهجرة.

الدين: فلا أحد ينكر دوره في الضبط الاجتماعي، فهو يمارس دوره في النمط التقليدي للتحضر.

٢- التحضر الصناعي :Industrial Urbanication

يعد هذا النمط في نظر بعض العلماء – مرحلة تالية للتحضر التقليدي. ولكن هناك آخرين لهم رأي مخالف، وهو أن هذا النمط ليس بالضرورة أن يكون لاحقا للنمط التقليدي، وإنما هو نمط مستقل يتواجد إذا ما توافرت الشروط اللازمة لنشأته .

ولكن في الحقيقة لابد وأن تمر عمليات التحضر بعدة مراحل، وتكون بطينة تخطو من مرحلة إلى أخرى، ولابد للمجتمع أن يكون قد مر بالمرحلة الأولى كي يمر بالثانية، أي أن الرأي الأول بداهة هو الأصوب.

فتعد الصناعة Industry في هذا النمط ركيزة أساسية يبنى عليها النشاط الحضري بصفة عامة، فهي نشاط شامل يتصل بتوافر قاعدة اقتصادية مناسبة، وبناء اجتماعي ملائم، ونظام سياسي مستقر، وإطار ثقافي منسق.. فهناك تفاعل بين هذه المقومات ينجم عنه تأثيرات شاملة تسهم في تحضر المجتمع، هذه التأثيرات تتجسد في التحول الذي يصيب نسق القيم السائدة، فتتجه من التقليدية إلى التقدم والتطور.

ويقصد بالتحضر الصناعي تلك العملية التي تحدث بالمجتمع نتيجة ظهور النشاط الصناعي وسيادته بالنمط الحضري، ويستند إلى مقومات رئيسية أهمها : ملاءمة البيئة الطبيعية، ووفرة الموارد الاقتصادية وانساق البنيان الاجتماعي والإطار الثقافي القائم ، وينجم عن هذه العملية تحقيق الاستغلال الأمثل للموارد الطبيعية والاقتصادية وتحول انساق البناء الاجتماعي من مضمونها التقليدي إلى إطارها المحدث .

٣- التحضر السريع Rapid Urbanication

المقصود به الحالة التي يمر بها النمط الحضري لبعض المجتمعات، ويتم بتريكز سكاني شديد وتحول سريع من النشاط الزراعي إلى الصناعي أو التجاري أو الخدمي وتغير مادي سريع وملموس دون أن يلاحقه تغير معنوي يمس القيم الاجتماعية والثقافية السائدة بنفس الدرجة من السرعة.

وهذا النمط يعتبر هو السائد في بلدان العالم النامي، ولعل الدراسة التاريخية لهذا النمط تفيد بأنه لا يظهر طفرة، وإنما له جذوره بالنمط التقليدي، وهي التي مهدت لظهوره كما أنه ليس من اللازم أن يمثل التحضر الصناعي مرحلة سابقة في وجودها على التحضر السريع، فقد يلتقيان في نمط واحد وقد لا يلتقيان، فهناك تحضر صناعي سريع، وهناك نمط مستقل لكل منهما. فالنمط السريع للتحضر قد لا يستوجب قيام الصناعة، وإنما قد يعتمد على أنشطة أخرى، كما أن التحضر الصناعي قد لا يتصف بالسرعة التي هي ركيزة النمط الآخر.

٤- التحضر التابع : Dependent Urbanization

ان لفظ التبعية Dependency يوحي بالإتكالية، ويعكس معنى الخضوع للسلطة، أي افتقاد الاستقلال، فمضمون فكرة التبعية هي وجود طرفين: الطرف الأول "مسيطر" ويفرض سيطرته على الطرف الثاني " التابع".

وليس من شك في أن الأسباب الرئيسية في خلق ذلك النظام من التحضر التابع في حركة الاستعمار العالمي بأشكاله المختلفة الاقتصادي المقنع والعسكري والاجتماعي والثقافي الخفي، فهو الذي أقر هذا النظام. إذن، فهذا التحضر التابع تمر به معظم الأنماط الحضرية ببلدان العالم الثالث التي استقرت تحت سيطرة الاستعمار سنوات طوال أثر فيها خلالها.

ويتشكل بصفة رئيسية من التأثيرات الخارجية الوافدة من المجتمعات الأخرى والتأثيرات الداخلية التي تنمو في ظل البناءات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية بالمجتمع التابع والتي تؤثر في تحديد حركة المجتمع.

والتبعية هنا شاملة كل جوانب الحياة في المجتمع، ولهذه التبعية خطورة رهيبة، حيث أنها ليست مادية فقط، إنما هي أكثر من ذلك تصل إلى حد أن الفرد أحيانا لا يشعر بانتمائه إلى بلده الأصلي، بل إلى البلاد المتبوعة، حيث ينتقل إليها ولاؤه، وليست هناك خطورة أكثر من ذلك.

خامسا: خصائص المجتمع المتحضر :

إذا ما بدأنا في دراسة خصائص المجتمع المتحضر فإننا نتذكر نقطة هامة أوضحها لنا "لويس ويرث" في بحثه "الحضرية كطريقة للحياة" حيث تناول هذه الخصائص بدقة شديدة، فقد أوضح أن أفضل وصف لطريقة الحضر في الحياة وخصائص المجتمع المتحضر يتمثل فى تمامه فى المناطق الداخلية للمدينة أي في مركزها حيث يتبين التنافر والتنوع في طرق المعيشة، هذا بسبب اختلاف وتنوع الطبقات الاجتماعية الموجودة كما ذكر "ويرث" أن المجتمع الحضري يتميز بالحجم والكثافة واللاتجانس، فكلما زاد عدد السكان وعظم تباينهم وضعفت الروابط القرابية والجيرة، تظهر المنافسة وميكانيزمات الضبط الرسمي، وأضاف أن الحضرية كأسلوب في الحياة تتميز بالعلمانية Secularization وظهور الجماعات الثانوية، والميل نحو تفتيت الأدوار وعدم وضوح المعايير وهناك بعض الخصائص الأخرى للمجتمع المحضر والتي تتمثل في :

 # ضعف الضوابط الاجتماعية Social controls نتيجة تميز المجتمع بسيادة الفردية فتضعف سيطرة الجماعة على الأفراد.

 # انتشار الترابطات الاختيارية Voluntary association: أي حرية الفرد في الانتماء إلى الجماعات المختلفة.

#الانفصال المكان :أي انفصال مكان العمل عن السكن.

وإذا ما تطرقنا إلى سمات سكان الحضر فنرى أن التركيب السكاني الحضري غالبا ما يظهر عملية الانتقاء وعوامل التفاضل، فتحوى المدن بين جنباتها نسية كبيرة من الأشخاص في مستهل حياتم من ١٥-٤٠ سنة أكثر من المناطق الريفية، وكلما أصبحت المدينة أكبر كلما أصبحت هذه الخاصية الحضرية أوضح ، وربما يرجع ذلك إلى هجرة الشباب من القرية أو من ضواحي المدينة. المترامية إلى مركز المدينة لتوفر فرص العمل، فهم يمثلون الأيدي العاملة فيها.

وبالإضافة إلى ذلك فقد ذكر لنا " جير الدبيرز" أن سمات سكان الحضر في البلاد النامية تشمل النوع والتعليم والمهنة والدخل ونسبة انتشار المرض والوفيات .

الفصل الثالث

النظم الإجتماعية الحضرية

أولا : النظام الأسرى في المجتمع الحضري

ثانياً: النظام الاقتصادي في المجتمع الحضري.

ثالثا: نظام التعليم في المجتمع الحضري

رابعا: النظام الثقافي في المجتمع الحضرى

أولاً: النظام الأسرى في المجتمع الحضري:

انتقل النظام الأسرى ببنائه ووظائفه من المجتمع الريفي إلى المجتمع الحضري ولكن التطورات الاجتماعية التي شملت هذا المجتمع انعكست على النظام الأسرى فغيرت من بنائه ووظائفه وأعطته مظهراً جديداً يكاد يعتبر بدءا لشكل جديد من أشكال النظام الأسرى .

وأهم هذه التطورات الاجتماعية هي :

 # تعارض الحياة الحضرية مع سيادة نظام العائلة الممتدة حيث ساد نظام الأسرة النووية (الزواجية)..

 # نشأة الصناعة الآلية الحديثة واجتذابها أعدادا كبيرة من العمال الذين تركوا الريف وسكنوا الحضر

 # وضوع النظام الديموقراطي وتحرير المرأة وارتفاع مكانتها ومساواتها فى الأجر والحقوق بالرجل، مما أدى الى اشتغال أعداد متزايدة من النساء وحصولهن على القدرة الاقتصادية المستقلة عن ذويهن وقيام الحضارة الحديثة على تقسيم العمل وما يفرضه من وجوب إسناد العمل لمن يتخصص فيه بكفاءة، مما جعل كثيرا من الأعمال توكل إلى النساء بكثرة .

 # ارتفاع تكاليف الحضارة بسبب ارتفاع مستوى المعيشة الذي حققته الصناعة الحديثة بما تعطيه من أجور لكي تمكن العاملين من شراء منتجاتها.

 # جمود القيم الريفية وعدم مسايرتها تحرر أفراد الأسرة من الثقافة التقليدية وسيادة الثقافة العلمية الجديدة .

 # ارتفاع مستوى قيمة التعليم واعتباره أهم أسس النظام الاقتصادي والمكانة الاجتماعية.

 # ازدحام المدن بالسكان، مما أدى إلى أزمة المساكن وضيق الشقق وصغر حجمها وبعدها عن أصل المدينة. فأصبحت كل أسرة جديدة مضطرة إلى السكن حيثما يوجد العمل، مما قضى على شكل الأسرة الأبوية الكبيرة .

 # قيام نظم تخصصية بوظائف النظام الأسرى مثل المدارس والشرطة والقضاء والمستشفيات ومصانع الملابس الجاهزة، ومصانع المعلبات، والأجهزة الكهربائية ومحلات التنظيف والغسيل والكى، والمطاعم والفنادق وأماكن التسلية، وشركات التأمين والضمان الاجتماعي وغيرها

 # زيادة مطالب الأسرة من الضروريات مثل الأثاثات ومستلزمات العلاج والانتقال والتعليم والتزين وتحول كثير من الكماليات الى ضروريات مثل الصحف وأدوات الطهي والطعام الحديثة، والإضاءة والمياه النقية والتسلية والمجاملات والرحلات ووسائل التثقيف العام .

 # وظهور قيم جديدة مثل وجوب رفع مستوى المعيشة والتمتع بمباهج الحياة واسعاد الأطفال، وعدم الرضا بالواقع الطبقى والتطلع إلى المستويات العليا.

وقد انعكست هذه العوامل وغيرها على النظام الأسرى في المجتمع الحضرى فظهرت فيه السمات الآتية:

ارتفاع مستوى تعليم الزوجين، وزيادة ثقافتهما عن ثقافة أبويهما، فطرحا جانا كبيرا من قيم الثقافة التقليدية. وتأخر سن الزواج بسبب رغبة كل من الشريكين استكمال تعليمه أو قدرته الاقتصادية المستقلة لضمان اعتماده على نفسه في المستقبل، وأصبح اختيار كل من الشريكين للآخر بدون وساطة الأبوين، وتفضيل الزواج من خارج الأسرة على الزواج من داخلها، وعلى هذا أصبحت مسئولية الزواج تقع على عاتقهما وحدهما.

كما يشترك الزوجان معا في الانفاق على الأسرة ولذلك يتساويان في المسئولية واحترام كل منهما الآخر على أساس من الثقة والتقدير.

وأصبحت الأسرة وحدوية (زوجة واحدة لزوج واحد) وتناقصت حالات تعدد الزوجات فى المجتمعات الحضرية حتى أصبحت فى طريقها إلى الزوال وظهرت تقاليد جديدة مثل ولادة الزوجة فى المستشفى، وحفلات أعياد الميلاد لأفراد الأسرة، وعيد الزواج وعيد الأم والاشتراك في النوادي الرياضية والجمعيات الأهلية التطوعية وغيرها ، وغدت الاسرة شركة تعاونية يتفاهم فيها الجميع بالمنطق على ما فيه مصلحة الأسرة وتتدخل الدولة في النزاعات الحادة بين أفراد الأسرة .

ومازالت وظائف الأسرة الأساسية وهي التناسل والتربية والاقتصاد قائمة ، فالشباع الجنسي وأنجاب الاطفال وتربيتهم وتهيئة الظروف الاقتصادية المناسبة لتنشئتهم تجد أفضل بيئة لها في الأسرة لأنها البيئة التي تنمو فيها عواطف الإيثار والمحبة نحو جميع الأفراد، ويبذل فيها كل فرد أقصى مافى طاقته لإسعاد الآخرين دون انتظار الجزاء، ولو أن الأسرة قد تحولت إلى جماعة مستهلكة بعد أن كات وحدة إنتاجية فى مرحلة الصناعة العائلية، إلا أن

الاقتصاد الأسرى يكمن في إعداد قوى بشرية جديدة لكي تسهم في حقل الإنتاج والخدمات وقوى شرائية تسهم في تصريف الإنتاج وتطويره.

ومازالت المرأة تقوم في الأسرة بجانب الإنجاب بتربية الصغار والعناية بهم وتمريضهم واعداد الطعام والملابس لهم، وتهيئة الجو النظيف الصحي لهم في البيت وربما وجود التكنولوجيا الحديثة ممثلة في الاجهزة المنزلية الحديثة غير من أدوار المرأة في المنزل وساعدتها كثيرا.

وسوف نوضح تأثير التحضر على الأسرة بشيء من التفصيل كما يلي:-

تأثير التحضر على الأسرة:

لقد اعترى الأسرة كثير من التغيرات لوقوعها تحت تأثير التحضر حديثاً سواء من جهة النمط الأسرى السائد في المجتمع المتحضر أو في وظائفها أو علاقاتها الداخلية والخارجية وغيرها، وسوف نوضح تأثير التحضر على الأسرة من جوانب مختلفه كالآتي :-

يعتبر النمط الأسرى السائد في المجتمع المتحضر هو فقط الأسرة النووية The Nuclear Family Pattern إيماناً منها بالاتجاه السائد نحو تنظيم الأسرية Family Planning لتنشئة سليمة لأفراد أصحاء وتتميز بأنها تهيء أفرادها لأداء الأدوار المتغيرة التي تنتقل مع الحياة المتحضرة الحديثة بكل متغيراتها الدينامية.

فلم تعد وظيفة الحمل والإنجاب هي أهم أسس الحياة الأسرية كما كان الحال في الماضي، فقد قلت أهمية قيمة إنجاب أعداد كبيرة من الأطفال، والالتجاء الحديث في أغلب المجتمعات الحديثة نحو الأسر صغيرة الحجم حتى يضمن الوالدان الأطفاهما حياة أفضل سواء من الناحية المادية أو المعنوية ،

وتجد أن علماء الاجتماع يؤكدون على مدى ملائمة هذا النمط الأسرى للحراك الاجتماعى الذي هو أهم خصائص البناءات الحضرية الصناعية المعاصرة، كما أن اتساع نطاق التعليم وظهور المهن الجديدة قد تطلبا تحرير الأسرة من بعض الضغوط التي كانت تخضع لها حتى يستطيع الأفراد الإفادة من الفرص التي تتيحها لهم التكنولوجيا الدائمة التغير.

وقبل أن نبدأ في دراسة التغيرات التى طرأت على الأسرة حديثا بالتحضر ننوه عن جوانب قصور الأسر في الماضي Short coming of families of the past فإن النقطة الرئيسية التى يجب التركيز عليها فى الحاضر هو أن الأسرة فقدت كثيرا من وظائفها.

كذلك لم تعد الظروف الاقتصادية ترغم أفرادها على البقاء معا، ليس معنى ذلك أن الأسرة فى الماضى هى الأفضل فقد كانت مليئة بجوانب القصور منها مثلا أن المرأة بسبب تبعيتها الاقتصادية للرجل مرغمة على احتمال سوء معاملته، وكان الأطفال مجالا للاستثمار ومصدر دخل للأسرة، يعانون من العمل المرهق وسوء المعاملة كما كانت الأسرة مرغمة على تحمل كبار السن بكل متاعبهم ومشكلاتهم .

هذه هي بعض جوانب القصور فى أسرة الماضي فكما كان لها مميزات كالترابط الأسرى مثلا والمحافظة الشديدة على القيم وغيرها كان لها جوانب سلبية كالي ذكرت أنفاً .

ثم نأتي إلى دراسة التغيرات التى انتابت الأسرة بالتحضر وأولى هذه التغيرات هي عملية الاختيار للزواج حيث كان فى القديم الزواج التقليدي الذي يتم على أساس اختيار العائلة للزوج وللزوجة دون أن يكون للشاب والفتاة الرأي والمشورة، أما الآن في المجتمعات المتحضرة أصبح الزواج في الأسرة يهتم بزيادة سعادة الشخص وتحقيق أهدافه الشخصية مثل تأسيس منزل وانجاب أطفال وتكوين حياة خاصة به، فالزواج الآن أصبح وحدة رجل وامرأة يرتبطان معا جسديا وعاطفيا ابتغاء السعادة والراحة والصحبة بالمشاركة في الحياة، باختصار الزواج وتكوين الأسرة أصبحا في المقام الأول اختيار أكثر من احتياج.

أيضا ميزة الزواج فى الأسرة المتحضرة أنه يتم دائما في سن النضج رغبة في تحقيق أكبر قدر من الاستقرار العائلى والبعد عن المشكلات الزوجية التي غالبا ما تنجم عن عدم نضج أحد الزوجين أو كليهما وتفهمه لأمور الحياة والأسرة بصورة سليمة وواضحة، كما نجد أن الأسرة المتحضرة دائما ما تحث أفرادها على الزواج من الخارج أى بعيدا عن دائرة الأقارب تفهما منها بعاقبة ذلك الزواج من إنجاب نسل ضعيف فتتلاشى حدوثه بالبعد عن مسبباته.

وإذا ما تساءلنا عن هدف التغير الاجتماعى بالنسبة للأسرة الآن لرأيناه متمثلا في الوصول بالأسرة إلى درجة مناسبة من التحضر وعن مظاهره فيها فإننا نراه إذا نظرنا إلى الاستخدام الوظيفي للمقتنيات العصرية، في وسائل المعيشة في تنظيم الأسرة لحياتها كذلك فى آراء واتجاهات وطريقة تفكير كل من الزوجين المسايرة للتطور الاجتماعى وتطلعهما نحو حياة مستقبلية عصرية أفضل، أيضا في الحرية المكفولة لأفراد الأسرة مشتملة على الأبناء والزوجة بخاصة وتمتعها بحقوقها كاملة.

ومن ضمن التغيرات التى طرأت على الأسرة بالتحضر التقدم الهائل في التخصص، وعليه فالمنظمات المتخصصة المختلفة قد أزاحت كثيرا من المسئوليات من على كاهل الأسرة،

وكذا كثيرا من الخدمات، ليس فقط مسئولية التعليم ورعاية الصغار ولكن العناية بالمرضى والمسنين وتصنيع الطعام والعناية بالملبس والاحتياجات الأخرى التي تلزم الأسرة.

كما أصبحت الأسرة في ظل النظرة الاقتصادية فى المجتمعات الصناعية المتحضرة وحدة استهلاك وليس إنتاج ولم تعد تتحكم في جهاز السياسة العامة وصارت المحاباة والمحسوبية فى العمل متفشية إلا أنها ما تزال مستهجنة ومستكرة .

أما عن تحليل بناء السلطة فى الأسرة المعاصرة فهو يكشف لنا أنه على الرغم من احتفاظ الزوج بمكانة مميزة داخل الأسرة سواء في الريف أو المدينة، فإن هناك اتجاها ثابتا نحو تزايد مشاركة الزوجة والأبناء فى عملية اتخاذ القرارات المتعلقة بشئون الأسرة فنجد غالبية الأزواج فى مختلف الفئات الحضرية يؤكدون مشاركة زوجاتهم لهم في رئاسة الأسرة حتى وإن كانت غير عاملة وهذا يرجع إلى ارتفاع مستواهن الثقافى وتغير نظرتن إلى الحياة.

والثابت أيضا أن الاشتراك في اتخاذ القرار بين الزوج والزوجة قد وصل إلى نسبة مرتفعة فى الأسر الحضرية وهذا يدل على الاتجاه الديموقراطى الذى يتزايد نموه فى الوقت الحاضر والبيانات الإمبيريقية تدعم هذا بقوة، ففى دراسة ميدانية على النساء العاملات فى مدينة عمان ثبت أن ٩٦,٢% من النساء العاملات المبحوثات ذكرت أن علاقتهن بأزواجهن تقوم على أساس المشاركة لم تذكر سوى ٣٨% فقط أن أزواجهن يمارسون اتجاهات تسلطية.

فسلطة الأب على الزوجة والأولاد أصبحت تسير في اتجاه التخفيف الواضح ويشير رينيه كوينج فى هذا الصدد إلى اتجاه بعض القوانين الوضعية في كثير من البلاد إلى الكلام عن سلطة الوالدين لا عن سلطة الآب فقط.

أما عن تدبير ميزانية الأسرة فهناك ارتفاع فى نسبة الزوجات العاملات سواء في وظائف عليا أو غيرها، فمن البديهي أن تشارك المرأة فى اقتصاد الأسرة وهذا ما يدعم بقوة مشاركتها في اتخاذ القرارات الخاصة بشئون أسرتها .

وكما يقرر عالم الانتربولوجيا الفرنسي ليفي شتراوس Gunde Levi Claude Shirness أن الزواج هو مشروع قسري لابد منه بحيث تصبح الحياة بدونه غير محتمله في مجتمع أصبح يعتمد على تقاسم الجهد والتكامل الاقتصادي بين الرجال والنساء.

وجدير بالذكر أن المرأة حتى وإن لم تكن امرأة عاملة فهي تشارك في اقتصاد الأسرة وبالتالي في اقتصاد بلدها أيضا، فهي تقوم مثلا بأعمال المنزل. وتستذكر لأولادها كل ذلك بطبيعة الحال بدون أجر وبذلك توفر للزوج ما يمكنه من أداء وتوفير متطلبات أخرى للأسرة وهذا يعتبر مشاركة فى اقتصاد غير ظاهر، وهذه المشاركة تؤهلها لأن تكون شريكة أيضا وكما ذكرنا أنها في عملية اتخاذ القرار بناء على وجود الاتجاهات الديموقراطية فى المجتمع المتحضر.

وبسبب وجود هذه الأيديولوجيات الديموقراطية في المجتمعات الصناعية المتحضرة أصبح تحكم الوالدين في الأبناء داخل الأسرة ليس كسابق عهده وأصبح التأثير العام للمجتمع أكثر من تأثير الأسرة على الأطفال والشباب ونتج عن ذلك كثير من التفاعلات الخطيرة داخل المجتمع كما أصبح جبل الشباب هو الذي يقود عملية التغيير داخل الأسرة فغالبا ما يتبنى الشباب أفكارا أكثر حضرية وتقدمية من الوالدين وأحيانا ما يؤثرون فيهم ويجعلونهم يقتنعون ببعض منها ويعملون بها، وهذا ما نطلق عليه عملية التنشئة الاجتماعية التبادلية حيث عملية التأثير والتأثر بين الوالدين والأبناء وتكون الغلبة في هذا المجتمع الديموقراطي الحديث بالأكثر حجة وأقوى تأثيرا في الإقناع بها .

وبوجه عام فإنه نتيجة للأيديولوجيات الجديدة والتكنولوجيا الحديثة والتخصص الزائد وغيرها من مسببات التحضر أصبحت الأسرة النووية أقل تماسكا.

وبالرغم من أن هذه الأسرة النووية أصبحت مصدرا للأمان الانفعالى للفرد إلا أنها أسهمت في نفس الوقت في إضعاف الروابط الأسرية مما أدى إلى ظهور علوم وفنون جديدة تعنى بمعالجة المشكلات الأسرية كالطب النفسى والإرشاد الزواجي وغيرها.

ومن ناحية أخرى فإن هناك بعض الآراء والدراسات التي تخالف هذا الرأي عن ضعف الروابط الأسرية المتميزة بها الأسرة المتحضرة. فمنذ سنة ١٩٥٠م تعددت البيانات التي تتساءل عن افتراضات أصحاب النظريات المختلفة مثل لويس" ويرث و تالكوت بارسونز Talcott Parsons وقد بينت هذه النظريات العلاقة الوثيقة بين الأقرباء وأنهم يكونون أهم احتكاك اجتماعي أسرى وكذا دورها في تغيير الطباع والسلوك، وأن هناك تغييرا غير قليل للمعايير في وسط الأسرة وشجبت الدراسات انتشار الفكرة السائدة عن الانعزال الاجتماعي للأسرة النووية المتحضرة وما يترتب عليه من خلل اجتماعى كطبيعة للحياة المتحضرة والتى تؤدى إلى تفكك الأسرة.

وكما نرى فهناك آراء تقول بتفكك الأسرة نتيجة للتحضر وغيرها يقول بعدم وجوده، والواقع أن الأسرة المتحضرة قد شهدت الآن نقصا في علاقاتها الخارجية مع غيرها من الأسر والأفراد لعدم وجود أوقات فراغ للتزاور ولكن هناك الأوقات والمناسبات التي تسرع فيها الأسر بعمل هذه العلاقات سواء مع الأقارب أو الجيران ،وغيرهم . أما عن داخل الأسرة، فقد أوجد التحضر وسائل ترفيهية كالانترنت ووسائل التواصل الاجتماعي المختلفة من شأنها جذب انتباه أفراد الأسرة فتقل درجة الاحتكاك بينهم، أيضا عمل الأب والأم له دور في ذلك، أما القول بان أفراد الأسرة يصبحون في انعزال تام عن بعضهم البعض لأن الفردية أصبحت سمة العصر فليس داخل الأسرة النووية وحدها ولكن يمكن أن تتمثل هذه الانعزالية بين الأسر بعضها مع البعض اوحتى في الأسر الممتدة في العصر الحالي .

إذن فإن الأسرة قد طرأ عليها بعض التغييرات بتأثير التحضر وهناك عوامل قد حدثت في المجتمع كانت السبب في هذا التغيير وهذا التحضر نوجزها فيما يلى:

١ – انتشار النظرية الديموقرطية وحصول المرأة على حقوقها:

انتشر الوعي الثقافي بين البنات واهتمت المجتمعات بتعليمهن أسوة بالأولاد وتحققت مطالبهن فكان لهذه الأمور أثر كبير في تطوير حياة الأسرة فارتفعت معاييرها الثقافية ومستوياتها الثقافية وأصبحت الأسرة ندوة علمية أكثر منها بيئة للأكل والشرب، وأصبحت الصراحة والحرية الشخصية تسود جو الأسرة.

٢– آلية الحياة المنزلية:

كان نتيجة التقدم الصناعى المعاصر أن غزت الآلات كل نواحي الحياة الأسرية مثل آلات التبريد والغسيل والطهي... إلخ أدى ذلك إلى تخفيف أعباء الحياة المنزلية وأتاح مزيدا من الوقت للعمل والكسب وجعل الأسرة تشعر بقيمة الحياة الإنسانية وأدت هذه الحياة الآلية إلى ازدياد مطالب الأسرة ونزوعها إلى حياة الترف .

وهذه الحياة الآلية جعلت من السهل على باقي افراد الأسرة غير الزوجة المساهمة في الأعمال المنزلية فكان الاتجاه إلى الأخذ بنظام تقسيم العمل فتحمل الزوج والأبناء مسئوليات أكبر في العمل في المنزل وتخففت الزوجة والإنات من بعض الأعباء.

أيضا هذه الحياة الآلية جعلت هناك وقتا للفراغ في محيط الأسرة فكان الاتجاه نحو الاهتمام بتنظيم الناحية الترويجية والمعنوية والعناية بالفنون ومختلف الهوايات الأخرى وأصبح البيت خلية للاستمتاع والشعور بقيم الحياة الاجتماعية وبذا ترتقى الثقافات وتنمو .

٣– العامل المورفولوجي:

ويبدو أثره فى انتقال الحياة الاجتماعية من حياة محلية إلى حياة اجتماعية واسعة ونشأة المدن وتقدم وسائل المواصلات وزيادتها، أدى ذلك إلى الاحتكاك والتداخل الاجتماعي فتهذبت العادات والتقاليد وانعكست هذه الأمور على حياة الأسر.

٤_ العامل الاقتصادي :

حيث تطور الإنتاج، فبعد أن كان الإنتاج مغلقا أصبح مفتوحا وظهرت المرأة بوصفها عنصرا منتجا، وظهر أثر ذلك بوضوح على حياة الأسرة.

تلك هي أهم أسباب التغيرات الحادثة فى الأسرة والتى جعلت هناك وجودا للأسرة المتحضرة الحديثة التى أصبح لها بناء وتركيب وخصائص خاصة بها و اصبحت هي المميزة للمجتمع المتحضر والتي ينتمى إليها أغلب الأفراد الذين يعيشون داخل المدن.

وبعد أن تطرقنا بالدراسة إلى معرفة التغييرات التي حدثت للأسرة وأسبابها فلابد أن نقوم بعملية تحليل هذه التغيرات أى هل تغييرات إلى الأفضل وكانت ذات النتائج إيجابية أم العكس؟

وفى الإجابة عن ذلك نجد نوعين من التحليل:

تحليل متفائل للأسرة الحديثة Optimistic Interpretations of The Modern Family:

ويتمثل في الذين يؤيدون شكل الأسرة الراهن حيث يبنون وجهات نظرهم على أن الأسرة الحديثة هي نوع من التكيف مع الظروف. الاجتماعية الراهنة.

فيرى "بارسونز " مثلا أن الأسرة الحديثة هي أنسب أشكال الأسرة في المجتمع المتحضر حيث تحرر الأفراد من مسئوليات القرابة وأصبحوا قادرين على صنع مكانتهم

الاجتماعية بأنفسهم وأصبحوا أحرارا في تكوين صداقات وتجمعات مع نظرائهم في المكانة الاجتماعية، ولم يعد الآباء يقفون في طريق الأبناء وأصبح – الأبناء أكثر قدرة على التكيف والتأقلم مع الظروف المتغيرة،

ونجد أيضا "ديفيز" يقرر أن تغير شكل الأسرة سبب اقتصادى وهو ملائم للوظائف الاجتماعية الراهنة.

إذن فإن أصحاب هذا الرأى يحاولون تبرير كل التغيرات التي حدثت. للأسرة في صالحها وفى الصالح العام للمجتمع، وعلى ذلك يعتبر هذا التغير شيئا طيبا وملائما وربما يكون هناك اتفاق مع هذا الرأى إذ لو كانت الأسرة تتصف بالإستاتيكية ومكثت كما هي أسرة تقليدية قديمة تدين بكل الأيديولوجيات السالفة وحدث تغير فى باقى انظمة المجتمع مع التحضر فكيف كانت تساير هذه الأنظمة والأنساق المتغيرة، لابد أنها كانت ستصاب بالخلل فى بنائها ووظائفها وسوف تعانى من المشكلات التي لا حصر لها ولكن ديناميكية الأسرة جعلتها تساير العصر الذى تعيش فيه.

وحتى المشكلات التي تجابه الأسرة الحديثة فقد كان تفسير "بارسونز و ديفيز " لها أكثر تفاؤلا فقد فسرا مشكلة الطلاق مثلا أوسائر مشكلات الأسرة أنه الثمن الذى يجب أن يدفع فى زمن أصبح شكل الأسرة فيه فرديا استقلاليا ديمقراطيا، أى هى مشكلات لابد من وجودها مع تغير شكل الأسرة الحديثة .

تحليل متشائم Apessimistic Interpretation:

حيث يرى آخرون مثل "جرين Green الأسرة المتحضرة الراهنة بصورة ضد الصورة السابق ذكرها حيث نجد التناقض في سلوك الوالدين وأصبح الأطفال يمثلون عقبة في طريق استمتاع الوالدين بالحياة وتناقص احترام دور الوالدين وأصبح الوالدان يستخدمان الحب

ويسحبانه كوسيلة لضبط الأبناء والسيطرة عليهم، وذلك ما يؤدى إلى كثير من الأمراض النفسية والعصبية، كما ينشأ أيضا ما يسمى بالصراع بين الأجيال.

وليس هناك ثمة إتفاق مع هذا الرأى إذ يذكر أن الأطفال يمثلون عقبة في طريق استمتاع الوالدين وديننا الإسلامي يقول أن المال والبنون زينة الحياة الدنيا ومن المعروف أن تعاليم الدين الإسلامى وأخلاقياته لكل العصور والمجتمعات فلا تتغير بالتغيرات الحادثة في المجتمع ، يذكر أيضا هذا التحليل تناقص احترام الوالدين وتناقض سلوكهم ولكن الاتجاهات الحديثة الديموقراطية تنادي بالمشاركة داخل الأسرة في قراراتها وأدوارها ولكن احترام الوالدين لا مساس به فليس معنى الديموقراطية هو عدم الاحترام، كما أن إعطاء الحب وسحبه من قبل الوالدين هو ما نطلق عليه العقاب المعنوي الذي يستخدم مع الابناء كوسيلة عقابية ولكنها لا تصل إلى التسبب فى الأمراض النفسية للأطفال إلا إذا استخدمت بطريقة غير سوية مع والدين غالبا ما يجهلان الأساليب الصحيحة في التنشئة الاجتماعية .

إذن فقد قام هذا التحليل بتأويل التغييرات الحادثة في الأسرة الحضرية إلى كل ما هو سلبي وضد مصلحة الأسرة وأفرادها ولا نجد ذلك متمثلا فى الواقع بصورة صحيحة.

ثانياً :النظام الاقتصادي في المجتمع الحضري:

ازداد نصيب المجتمعات الحضرية فى الاقتصاد القومى للدول المتقدمة والنامية، فالأولى ارتقت فيها الصناعة حتى أصبحت الحرفة السائدة، والثانية تنفذ تخطيطا يهدف إلى الارتقاء بالصناعة والتجارة والنقل والسياحة حتى تصل إلى حد من النمو الاقتصادى يرفع مستوى معيشة شعبها إلى الدرجة التي تتفق والقيم التي سادت في العصر الحديث عن وجوب حصول الفرد على ما يتفق وكرامته الإنسانية .

ومن المعروف أن النتائج التي تمخضت عنها الحضارة الحديثة اتجاه العلم إلى الصناعة وذلك لما ثبت من أن المجتمع الصناعى أقوى وأغنى وأكثر تقدما وتمتعا بالحياة الحضارية من المجتمع الريفي وذلك للأسباب الآتية:

ان الإنتاج الصناعي أغلى من الإنتاج الزراعي أو إنتاج المواد الخام: فإن قنطارا من القطن الخام يباع بعد تصنيعه منسوجات بعشرة أمثال ثمنه وهو مادة خام ولذلك اتجهت الدول المنتجة للقطن إلى تصنيعه تصنيعا كاملا و على الأقل نصف تصنيع لكي تكسب الفرق بين السعرين.

والمجتمع الصناعي يقوم على العلم والتكنولوجية ولذلك يسعى المجتمع الصناعى إلى الوصول إلى أحدث النظريات والأساليب التكنولوجية في الصناعة والتجارة والزراعة ومن هنا يرتقى المجتمع الصناعي ارتقاء علميا باستمرار ويسعى دائما" إلى أن يكون قادرا على المنافسة مع المجتمعات الصناعية الأخرى خاصة وأن المنافسة هي أهم سمات العصر.

ويؤدي التصنيع إلى إيجاد مجتمعات حضرية قريبة من المصانع، ومن المعروف أن المجتمعات الحضرية تتطلب مستويات عالية من النظم الصحية والتعليمية والخبرات الدقيقة.

وتكون المجتمعات الصناعية على اتصال دائم بأنحاء العالم ومعرفة آخر التطورات السياسية والاقتصادية والاجتماعية لأن لكل ذلك تأثير على الإنتاج الصناعي .

ومن هنا تكون المجتمعات الصناعية مرتبطة بهذه التطورات ارتفاع وانخفاضا وإذا لم يكن لديها من المرونة والقدرة على تغيير المناهج الإنتاجية ما تستطيع به أن تواجه التقدم العالمى فإنها قد تفشل وتتخلف، ولكن الواقع أن الصناعة تعطى لهذه المجتمعات من المرونة

والقدرة على التكيف العقلى مع الظروف ما يسمح لها بمواجهة الاحتمالات المفاجئة والمتغيرة.

ولا يكتفى المجتمع الصناعي بتلبية حاجات الناس من المنتجات التقليدية ولكنه يسعى دائما إلى ابتكار منتجات جديدة تخلق لدى الناس حاجات جديدة يشعرون بضروريتها لهم فيقبلوا على شرائها. وبذلك يخلق الإنتاج الصناعي أوضاعة جديدة فى المجتمعات توجد قيما" جديدة لم تكن موجودة من قبل.

ويؤدى المجتمع الصناعى إلى تجميع الأعداد الكبيرة من العمال والموظفين في مكان محدود ولذلك ينتقل التأثير بينهم بسرعة ويتكون الرأى العام بينهم بطريقة المواجهة المباشرة .

ومن هنا يستطيعون بتكتلهم أن يحصلوا على مطالبهم ويغيرون النظم التي تضرهم بطريقة جماعية سريعة المفعول ،وعن هذا الطريق تمت الإصلاحات الكثيرة التي شملت حياة العمال في العصر الحديث.

ونظرا لأن المجتمع الصناعي لا يخضع للبيئة الطبيعية مثل المجتمع الريفي فإنه يستطيع أن يعمل في كل الظروف وأن يغير من أسلوب العمل وقتما يشاء وان ينتج ما يستطيع به أن يتغلب على الطبيعة أو يسخرها لخدمته، وبذلك يشعر المجتمع الصناعي بقوته إزاء الطبيعة وانه سيد مستقبله وان على نشاطه وقدراته وحدها يتوقف مقدار نجاحه بينما نجد المجتمع الريفى خاضعا لظروف البيئة التي تتغير حسب المواسم والفصول تغيرا يشمل المناخ واستعداد الأرض للإنبات وهجرة الطيور وغيرها.

والمجتمعات التى يعتمد اقتصادها على الصناعة أقدر على الحرب من المجتمعات الزراعية ذلك لأن المجتمعات الصناعية تستطيع عندما يهددها خطر الحرب أن تحول

مصانعها من الإنتاج السلمى إلى الإنتاج الحربي فتكون أقدر على مواجهة الأعداء بمثل أسلحتهم والمحافظة على استقلالها، كما أن روح التحدى والثقة بالنفس التى تخلقها الصناعة فى أفراد المجتمع الصناعي تجعلهم على استعداد لقبول التحدى وعدم الاستسلام .

وفي المجتمع الصناعي تكون العلاقات بين الناس قائمة على تخصص كل منهم في جانب صغير من العمل وشعوره بحاجة المجتمع إليه في هذا التخصص وبذلك يشعر الفرد بقيمته فى الإنتاج الكلى للمجتمع كما يشعر الفرد أنه لا يمكن أن يسير الإنتاج إلى نتيجته المطلوبة إلا بتضامن الأفراد جميعا وشعورهم بواجبهم نحو العمل الشامل الذى يتعاونون في إنتاجه، وأن أى تقصير من جانب بعضهم يؤثر في عمل الآخرين.

ونظرا لأن الإنتاج الصناعي الحديث يقوم على استخدام الآلات الدقيقة المعقدة فإن إدارة هذه الآلات يحتاج إلى مهارة كبيرة من العامل ودقة في الانتباه ومحافظة على النفس وعلى صلاحية الآلة ومن هنا يخلق العمل الصناعي لدى العمال طباعا جديدة هي الرغبة في التعليم وزيادة الخبرة والتزود بالانتباء الشديد. والملاحظة الدقيقة، والتصرف بحكمة في المواقف الحرجة والتفكير بطريقة علمية بدلا من الخرافات وهي أمور لا يحتاج إليها العامل كثيرا في المجتمع الريفي.

لهذه الأسباب كلها أصبح للنظام الاقتصادي القائم على الصناعة في المجتمع الحضري اثر على هذا المجتمع يتمثل على الأمور الآتية:

١-ارتفاع مستوى المعيشة في المجتمع الحضرى بفضل ما يحصل عليه العمال من أجور تفوق ما يحصل عليه العمال الريفيون.

٢- ارتفاع المستوى الثقافى فى المجتمع الحضرى بسبب حاجته إلى التقدم العلمي والتكنولوجى فى كل وقت و استعانته بمعاهد البحوث العلمية والجامعات في ترقية أساليب الإنتاج والنقل والتسويق والخدمات .

٣- ارتفاع المستوى الصحى بسبب وجود الأطباء المتخصصين في الفروع الدقيقة والمستشفيات المجهزة تجهيزا علميا عاليا وسهولة الحصول على الأدوية والأغذية اللازمة والمعرفة بقواعد الصحة والنظافة وارتفاع مستوى الوعي الوقائي .

٤- تأخر سن الزواج بالنسبة للجنسين فى المجتمع الحضرى بسبب رغبة كل من الشريكين فى الحصول على عمل يضمن به مستقبله وما يستدعيه هذا من الحصول على إعداد تعليمى وتدريبي قد يستغرق كل الفترة السابقة على الزواج و خاصة إذا كان العمل من الأعمال الفنية العليا.

٥_ نقص في عدد أفراد الأسرة بسبب التأخير في سن الزواج ورغبة الوالدين في عدم ارهاق نفسهما بتربية عدد كبير من الأبناء وبسبب شعور الوالدين بأن التخطيط للمستقبل يتطلب منهما التحكم في عدد أفراد الأسرة حتى يزيد الدخل المحدود الذي يحصلان عليه ،وبسبب كثرة التكاليف فى المجتمع الحضري .

٦-تحرر المرأة من القيود التي تخضع لها المرأة الريفية بسبب اعتمادها الكلى على الزوج والوالدين في حياتها الاقتصادية والاجتماعية وبسبب كثرة أولادها ذلك أن المرأة في المدينة قد حصلت على مزيد من الاستقلال الاقتصادي والوعي الثقافي بقيمتها المستقبلية ودورها في الحياة الاجتماعية .

٧-ضعف الصلة بالأقارب فإن الحياة المادية التي تسود المجتمع الصناعي وشعور كل فرد فيه بأن المصلحة المادية هي الأساس في العلاقات بين الأفراد واعتماد كل فرد على نفسه كل ذلك جعل العلاقات العاطفية بين الأقارب تضعف إلى الحد الذى يشعر فيه سكان المدن أن علاقات القرابة لا أهمية لها بالنسبة إليهم ولذلك يلجأون إلى الروابط المهنية كالنقابات.

٨- ضعف الوازع الديني فى المجتمع الصناعي بسبب كون الإنسان فيه سيد نفسه ومستقبله وشعوره بالاعتماد على الآلة التي صنعها بنفسه وعدم شعوره بالحاجة إلى الرعاية الغيبية إلا فى ظروف الضعف والكوارث حيث يتغلب الوجدان على التفكير العقلي ولذلك يميل المجتمع الصناعي في الظروف العادية إلى الفنون لإشباع الناحية الوجدانية فيه..

٩- ضعف الروابط التقليدية والأخلاقية الريفية لأن المجتمع الحضرى أكثر تحررا من التقاليد ومن القيود الخلقية المتوارثة بسبب جهل الناس ببعضهم والشعور بالاستقلال الفردى والتفكير المنطقي. ولذلك لا يعوق المجتمع الصناعي عوائق من التقاليد والأفكار القديمة نحو التطور السريع في جميع نظمه.

١٠- الاهتمام بالوقت وتقديره تقديرا كبيرا ولذلك يهتم المجتمع الصناعي بدقة المواعيد في العمل والتقيد بساعات محددة لكل مجال من مجالات الحياة العلمية والاجتماعية بل ولأوقات الراحة.

١١- كثرة المواصلات وتنوعها بسبب حرص الأهالى على الوقت في المجتمع الصناعى وبسبب امتداد العمران في المدينة وكثرة الأعمال فيها. ولذلك كانت أجهزة النقل والاتصال الحديثة ضرورية جدا" في المجتمع الصناعي.

١٢ - الشعور بالفردية والاعتداد الكلى بالذات ولذلك يشعر كل مواطن في المجتمع الصناعى أنه فرد مستقل بجهوده وحياته وأنه لاضمان له في المستقبل إلا نشاطه الشخصي ومواهبه إذ لا يوجد في المجتمع الصناعي ذلك الترابط العائلي الذي يضمن المستقبل لكل أعضائه.

١٣ - بسبب الأمور السابقة كان المجتمع الصناعى فى أشد الحاجة إلى النظام الترفيهي ولذلك تكثر فيه الملاهى التى تؤدى دوراً مهما" لما يعانيه الناس في المجتمع الصناعي من وحدة وقلق و احتكاك دائم وطول وقت الفراغ ومن هنا يحتل الفنانون وأصحاب دور التسلية واللهو منزلة كبيرة في المجتمع الصناعي بعكس المجتمع الريفى الذى لا يشعر بالاحترام الكامل إلا لأصحاب المهن المنتجة والمتصلة بالحاجات الضرورية للإنسان.

١٤ - خلق الجمال الصناعي بسبب افتقار المجتمع الحضرى إلى الجمال الطبيعي ولذلك يميل الحضريون إلى التأنق واستعمال المساحيق وعمليات التجميل وغيرها.

ثالثاً: نظام التعليم في المجتمع الحضري:

التعليم هو عملية انتقال التجارب الثقافية من جيل إلى جيل واعداد الأطفال والشباب ليكونوا أعضاء فى المجتمع ، ويختلف التعليم في المجتمعات المتخلفة عنه في المجتمعات المتقدمة .

وفى المجتمعات الصناعية الحضرية يتم التعليم من خلال المدرسة إذ أن جماعة المدرسة تتكون من عدد كبير من الأطفال لا يسكنون جميعا بينا واحدا، ولكنها تشمل أفراد من جيرة واسعة كما أن أطفال المدرسة يكونون فى فئة عمرية متقاربة، ومن ثم تكون روابط

الطفولة من أقوى أنواع الروابط، وهكذا ففضلا عن أهداف المدرسة التعليمية، فهي تقوم بدور وظيفى هام حيث تصبح وسيلة للتنظيم الاجتماعي .

وفي المدرسة تزداد المهارات التي يتلقاها الطفل كالقراءة والكتابة والحساب، ويحصل الأطفال على مهارات مهنية عالية، ويقوم بالتدريس فيها مدرس متخصص، ويتيح التعليم في المدرسة توسيع الأدوار المتخصصة، وعند انتقال الطفل من صف دراسى إلى صف دراسي أعلى أو من مرحلة تعليمية معينة إلى مرحلة أعلى، يتركز التعليم على موضوعات معينة أكثر تخصصاَ وتعقيدا.

وتقوم المدرسة بدور هام فى أنشطة الترفيه، وتجرى مباريات في الألعاب المختلفة، مما يساعد على إزالة الحقد ويقلل التوترات وتخلق بعض الألعاب مثل كرة القدم وكرة السلة روح واحدة بين الأفراد، ولا يقتصر دور المدرسة على تنظيم تلاميذها، بل يمتد نشاطها إلى آبائهم عن طريق تكوين مجالس الآباء، فهي بذلك تسهم في تنظيم وحدة الجيرة، وتقرب فيما بين الآباء.

ويرتبط التصنيع والتحضر بالتعليم ارتباطا وثيقا، فالتصنيع يستند إلى زيادة تقسيم العمل، حيث يتخصص العامل فى عمل أو مهنة معينة، ويخلق التصنيع مهنا جديدة، ويؤدى إلى ظهور قدر كبير من المعرفة وبازدياد التصنيع وتقدمه يصبح المجتمع فى أمس الحاجة إلى مستويات عالية من التعليم، وفى عصرنا الحالي أصبحت الآلة أكثر تعقيدا" ، ومن ثم اختلفت الحاجة إلى المزيد من المدارس والهيئات التعليمية .

وقد أدى التعليم إلى مرونة التدرج والحراك الاجتماعي وتحسن الوضع الاجتماعي للأبناء الذين تلقوا تعليماً أرقى عما كان عليه آبائهم.

وعلى جانب آخر نجد أن التعليم يواجه في المناطق الحضرية صعوبات وعوائق ذلك أن المدرسة لا توجد فى فراغ بل هى تقوم وتستند إلى مجتمع محلى ومع نمو المدن وتغيرها إلى مدينة عظمى وجهت للتعليم مسؤوليات كبيرة ومشكلات جديدة لم تظهر من قبل.

تتمثل هذه المشكلات فى الأعداد الضخمة من الطلاب وظهور مشكلة الدروس الخصوصية التى تستنفذ جزءا كبيرا من دخل الأسرة، وطبيعة اللاتجانس السكاني في المناطق الحضرية، والاختلافات فى مستويات المكانة والمهنة، والدخل.

رابعاً:النظام الثقافي في المجتمع الحضري:

سوف نتناول النظام التقافي فى المجتمع الحضري من جهتى انتشار الثقافة والحضارة فيه، وهنا يتضح لنا أن هناك عدة آراء حول التفرقة بين الثقافة والحضارة فبعض العلماء يجعلهما متناظرين بسبب كثرة استعمال المؤلفين للمصطلحين في معنى واحد او معنيين متقاربين يصعب التمييز بينهما، وبعضهم الآخر يخلط بين أحدهما وبين مفاهيم أخرى، وغيرهم ينكرون تعميم المصطلح و آخرون يربطونه بأسلوب الحياة.

وإذا ما أردنا التمييز بين الثقافة والحضارة سوف نجد أن بعض المفكرين يرون أن الثقافة تتميز بأنها الأفكار أو التصورات الداخلية فينا التي ننشئها لأننا في حاجة إليها لذاتها لا لغرض نفعى، وأنها تخضع لقيم نقدرها لنفسها أيضا"، ولا نستطيع أن نفاضل بينهما في قيمتهما، ولذلك فأن الثقافة لا يمكن الحكم عليها بأنها تتقدم عما كانت في الماضى، فليست الثقافة خبرة مكتسبة ولكنها تعبير عن طبيعتنا في تفكيرنا وسلوكنا، ولذلك تشمل الثقافة القيم والعادات والعرف والتقاليد والعقيدة والآداب والعلوم والفنون وتحتاج الثقافة في انتقالها من عقل إلى عقل، أو من مجتمع إلى آخر، أو من جيل إلى جيل إلى تشابه في الأذهان، فما لم تكن هناك قدرة على استيعاب ثقافة معينة، فإنه لا يمكن تمثلها ولا التحلى بها، ولا يتوقف ذلك على تقدم المجتمع أو تخلفه وإنما يترتب على وجود العقول القادرة على التفكير المتميز.

ولهذا فإنه قد لا يمكن نقل الثقافة. وإذا أمكن استعارتها، فإنه يحدث فيها تغيير يناسب العقول التى استعارتها، ففى تمثل الثقافة نصيب من الذاتية وثقافة كل مجتمع تعبر عن طبيعته الخاصة، وانتشار ثقافة معينة فى مجتمعات مختلفة يحولها إلى ثقافات متعددة .

أما الحضارة فإنها الجانب المادى من الثقافة، إذ أنها التعبير الذى يجسد أفكارنا وتصوراتنا، ونظراتنا إلى الوجود والمجتمع، ولذلك فانها تتجلى في الأشياء التي نرغب فيها لحاجتنا إليها مثل الطعام وأدواته والملابس والمساكن، وكل ما نستعمله في الاستهلاك أو الإنتاج أو الخدمات والأعمال بمختلف أصنافها وأبنية النظم الاجتماعية التي تكفل بقاء الحياة الاجتماعية وتطورها.

ولهذا فإن الأساس الذى تقوم عليه الحضارة هو مدى فعالية الشيء لخدمة الغرض الانساني، فهناك إذن تقدم حضارى لا ريب فيه، إذا قارنا مثلا بين الإمكانيات التي يسرتها الحضارة الحديثة للطبيب المعاصر وبين ما كان لدى الطبيب القديم منها، فالحضارة تتقدم بالنمو واستفادة الخلف من السلف، وكل مجتمع من المجتمعات الأخرى.

ولقد التشرت الحضارة العربية بإنجازاتها في جميع أرجاء المعمورة بمختلف المستويات الثقافية التي تضمها مجتمعاتنا، وهى ميزة من مميزات الحضارة الأوربية . التي ميزت بين الثقافة والحضارة، حتى أن بعض المجتمعات التي استطاعت استيراد منجزات الحضارة الغربية لم تستطع، رغم الاستعانة بالخبراء الأوربيين في التعليم، أن ترتفع إلى مستوى الثقافة المعاصرة فظلت ثقافتها تنتمى إلى عصور تاريخية سابقة.

وتنتقل الحضارة بأسرع وبأكمل وبأقل جهد من انتقال الثقافة، فهناك مجتمعات في العالم الثالث تعيش الحضارة الأوربية دون ثقافتها.

ومن الواضح أن هناك علاقة بين الثقافة والحضارة وأنهما يجتمعان في شئ واحد مثل الكتاب والاسطوانة والصورة التي يرسمها الفنان والملابس التي ترتديها (إذا كانت تعبيرا عن ثقافتنا لا مجرد تقليد ظاهرى للآخرين)

وعلى جانب آخرفإن الثقافة تؤدى إلى حضارة معينة، فالثقافة المصرية القديمة باعتناقها عقيدة الخلود والحساب أقامت حضارة التحنيط والمقابر والأهرامات .

وقد تؤدى التكنولوجيا التي تقوم عليها الحضارة إلى تطوير الثقافة، فان إدخال الفأس الحديدية في بعض المجتمعات البدائية أدى إلى تغيير الإنتاج مما طور من ثقافة تلك المجتمعات.

وما دمنا نتحدث عن النظام الثقافي فجدير بنا أن نتطرق إلى دراسة ومعرفة ما يسمى بالتكيف الثقافي .

ويقصد بالتكيف الثقافى ACCULTURATION العمليات التي تقوم بها المجتمعات المختلفة، لكي تحقق الانسجام بها وتقلل عوامل الاختلاف والتنافر بينها، وهي عمليات إرادية

تلجأ إليها المجتمعات عن وعى بأهمية تحقيق التشابه بينها في القيم وأنماط السلوك الاجتماعي.

ويعرف قاموس WEPESTER الأمريكي هذا المصطلح Acculturation بأنه عملية استعارة ثقافية بينية بين أناس مختلفين، تنتج أنماطا جديدة مختلطة وتم استخدام هذا المصطلح في إنجلترا بمعنى الاتصال الثقافي، ويعنى هذا أن التكيف الثقافي يشترط وجود مجتمعين يحدث بينهما اتصال .

وتتم عملية التكيف الثقافي بالخطوات الآتية:

١ – الاحتكاك الثقافي

٢–المفاضلة بين الثقافتين

٣ – اقتباس بعض المعايير

٤ – استكمال التكيف الثقافي كليا أو جزئيا أو رفضه.

وتبدأ أولى محاولات التكيف عندما تتصل ثقافتان ببعضهما، وتبدو أوجه الاختلاف بين مجتمعات متباينة الثقافة، فتجد كل من الثقافتين أنه من الضروري أن تلائم بين معاييرها ومعايير الثقافة الأخرى حتى يحدث الوفاق بينهما.

وبذلك ينشأ الاحتكاك الثقافي فتحاول كل ثقافة أن تعلن مزاياها بالنسبة للثقافة الأخرى عن طريق الاحتكام إلى القيم السائدة فيها والممارسة الفعلية لتلك المزايا، مما يساعد المجتمع على المفاضلة بين الثقافتين واقتباس أفضل ما فيهما وترقب رد فعل النظم الاجتماعية نحو الاقتباس وأثره فى تغيير الأنماط السلوكية فيه، وعندئذ يقرر المجتمع قبول التكيف الثقافي أو رفضه كليا أو جزئيا" أو تعديله بما يتفق وثقافته، مثلما يقبل الجسم ما يتفق وتكوينه من الطعام ويرفض ما يتنافر معه .

ومن الملاحظ أن أسرع النظم الاجتماعية إلى التكيف هو النظام اللغوى ونظام التحية والعلاقات الإنسانية العامة، ونظام الزي، والنظام الاقتصادي، وأخيراً يأتى النظام القانوني والأخلاقي والديني، وهذا الأخير هو أعصى الأنظمة على التكيف وأكثر مقاومة ، ويرى بعض العلماء أن التبادلات المادية أسرع قبولاً من التبادلات العقلية .

وتختلف صورة التكيف الثقافي ومداه بين موقف كل من المجتمعين بالنسبة إلى الاخر في الأوجه التالية :.

١- من الناحية السياسية.

فإذا كانت العلاقة بينهما عدائية خالصة، فإن ذلك يجعل التبادل الثقافي في أضيق مجالاته.

٢- من الناحية الحضارية:

إذا كان المجتمع الغازى أقل حضارة من الثاني مثلما كان الشأن بين الهكسوس و المصريين قديما، وبين العثمانيين و المصريين في فجر العصر الحديث أو مثلما كان الأمر بين الرومان واليونان فان المجتمع الغازى يحاول التكيف الثقاق مع المجتمع المغزو وكذلك يفعل الأخير ،مع محاولة كل منهما الاحتفاظ بشخصيته التي تضمن له البقاء فتكون صورة التكيف التقافي مختلفة عند كل منهما مما يفسح المجال ليروز التناقضات التي تؤدى إلى الثورة و التحرير.

أما إن كان المجتمع الغازى أكثر حضارة فان المجتمع المغلوب يميل إلى أن يقتبس منه عناصر تفوقه حتى يتساوى في القيم الحضارية التي يكمن فيها سر التفوق، أما المجتمع الغازي فإنه يشعر بتفوقه الحضارى مما يجعله لا يرغب في التكيف الثقافي كما يتضح من صور الاستعمار في العصر الحديث إذ أن المجتمعات المستعمرة استمدت من المجتمعات

الأوربية التي استعمرتها أكثر عناصر حضارتها بعكس الأخيرة التي ترفعت عن النزول الى مستوى مستعمراتها ولكنها تأثرت بها رغما عنها مثل تأثر الفن الأوربى بالفنون الأفريقية في الرسوم التشكيلية والنحت و الموسيقى .

٣ – من الناحية الاقتصادية

تميل المجتمعات الفقيرة أن تتكيف ثقافيا مع المجتمعات الغنية فتستعير منها مظاهر تراثها، وأنماط السلوك الترفيهي، دون أن تكون لها الحقوق المادية لهذه المظاهر ، اما المجتمعات الغنية فإنها لا تميل إلى استعارة ثقافة المجتمعات الفقيرة .

٤ – من ناحية الاتصال المكان

فالمجتمعات المنعزلة مكانيا مثل الجماعات البدائية و مثل اليهود تكون منعزلة ثقافيا، و من ثم ينعزلون في أحياء خاصة بهم.

٥– من ناحية المدة (أو الاتصال الزماني) .

فكلما طالت الفترة التى يتصل فيها المجتمعان، كان إمكان التكيف الثقافي بينهما أكثر رجوحا و ثباتا، ذلك لأن البطء من صفات التكيف الثقافي، لأنه يعتمد على الاقتناع بصواب حركة التكيف التى تجد مقاومة عقلية من الجيل الأول وتقل هذه المقاومة من الأجيال التالية لأن الثقافة الثانية تصبح واقعا يفرض صوابه بواقعيته، ثم أن طول المدة تجعل إمكانيات الحوار والتفاهم والتعارف شيئا مألوفا بالإضافة إلى زيادة الارتباط بين المجتمعين بظهور مصالح و أهداف مشتركة بينهما.

كيف يتم التكيف الثقافي ؟

يتم التكيف الثقافي عن طريق صراع بين النظم المتناظرة في كل من المجتمعين المتصلين ، يأخذ فيه هذا الصراع صورة مبارزة ثقافية ينتصر فيها النظام الأقوى ويسقط النظام الأضعف تماسكا ويكون ذلك بواسطة بعض هذه الطرق:

١-طريقة الغزو العسكري :

إن المجتمع الغازى يفرض ثقافته على المجتمع المغزو،لأن أبناء المستعمر يعيشون في المستعمرة وفق ثقافتهم الخاصة ويفرضون بحكم قوتهم على الوطنيين أن يتكيفوا مع ثقافتهم لا العكس.

٢- طريقة القانون والسلطة السياسية:

وذلك عندما يفرض المجتمع صاحب السلطة ثقافته على مجتمعات منضمة إليه بالقوة كما هو الحال في الدول المكونة من جمهوريات أو ولايات متحدة متباينة في ثقافتها الأصلية .

٣ -طريقة تطوير الثقافة :

وذلك بظهور معايير ثقافية جديدة جاءت عن طريق التكنولوجيا أو النظريات العلمية الجديدة فيحدث صراع بين الثقافتين التقليدية والجديدة يؤدى إلى تكيف ثقافي ينشئ نمطا اجتماعيا جديدا" كما حدث في المجتمع الياباني عندما أرغمه الأمريكيون فى العصر الحديث على الخروج من عزلته والأخذ بالتكنولوجيا الغربية .

٤- التعليم:

فإنه ينقل الثقافة وما يترتب عليها من سلوك من مجتمع إلى آخر مثلما حدث من العرب في المجتمعات التي نشروا فيها الدين الإسلامي وتعاليمه ويشمل التعليم المدارس والكتب والدوريات ووسائل الإعلام.

وأهم عنصر في التعليم هو اللغة فإن سهولة التفاهم بين مجتمعين تنقل الأفكار والسلوك وتسهل التعامل بينهما، إذ أن اللغة هى التى تقرب العناصر المتباعدة فتجعل إمكانية

الفهم بينهما واقعا وتساعد على أن يقدر كل من المجتمعين الآخر وبذلك تتقارب مظاهر السلوك.

واللغة هي أداة الفكر ووسيلة الإقناع ومستودع الخبرة الاجتماعية مما يجعلها الأداة الأولى لنقل التراث الاجتماعي من مجتمع إلى آخر، وبذلك تجعل المجتمع الذى يستعيرها مدركا أنه يأخذ مع لغة المجتمع الآخر كل خبرته دون أن يتكلف شيئا وبذلك يساويه فى القدرة وطريقة التفكير ولذلك تكون اللغة أول ما يقتبسه المجتمع من الآخر، وأول ما يرفضه عندما ينبذ ثقافته.

٥- المشاركة في العمل:

فالمجتمعات التى تتلاقى فى عمل واحد فأنها تتجاور مكانيا وزمانيا" وتتوحد سلوكيا" تحت ظروف العمل المشترك فما تلبث أن تتوائم ثقافياً، مثلما حدث للأمريكيين الذين حاربوا في أوربا أو اليابان الناء الحرب العالمية الثانية والذين اشتركوا في تعميرها بعد الحرب حيث حدث تكيف ثقافي بين المجتمع الأمريكي وكل من المجتمعين الأوربي واليابانى .

ويساعد صغر حجم المجتمع على سرعة قابلية المجتمع للتكيف الثقافي فالمجتمع الأصغر في الحجم يكون أكثر ميلا إلى مجاراة المجتمع الأكبر.

فالمجتمعات التي تنتقل إلى مجتمعات غربية تتكيف ثقافيا" معها بسرعة، مثل أعضاء البعثات الذين يسافرون وأسرهم إلى بلاد أخرى، ومثل الجاليات الأجنبية التى تستوطن بصورة دائمة في مجتمعات مخالفة لوطنها فإنهم يكتسبون معايير جديدة تجعلهم يختلفون عن كلا المجتمعين الأصلي والجديد .

الصدمة الاجتماعية :

وتنشأ نتيجة محاولات التكيف الثقافي دون الإحاطة بجميع ظروفها، مثلما حدث في مصر في بداية تحرير المرأة، إذ حدثت حوادث سوء تكيف لبعض الفتيات، نتيجة لعدم خبرتهن بما يلزمهن عند التحرر من القيود للاحتفاظ باحترام المجتمع وحمايته، حتى أن كثيراً من الأسر خافت من هذا التحرر و انتكست إلى المزيد من الرجعية.

ولما استوعبت الفتاة المصرية كل عناصر التكيف الثقافي، اكتسبت حصانه ضد مغريات التحرر و استطاعت المرأة في المجتمع المصرى أن تمارس حريتها في مجتمع يقدرها ويعرف أنها قد استوفت شروط التكيف الثقافي وبدأت الأسر المتزمتة تراجع نفسها.

ومثلما حدث في بعض الدول التى استقلت حديثاً" إذ دفعتها ثورة الجهاد ضد الاستعمار أن راجت فيها دعوة لإلغاء اللغة الأجنبية، ولكن سرعة التكيف قضت على هذه الدعوة ومثل ظهور الدعوات المتطرفة في رجعيتها هروبا من صعوبة صراع التكيف وحالات المعارضة الشديدة لكل ثقافة جديدة في أي مجتمع للإبقاء على الثقافة القديمة، كما حدث في البلاد التي تقاوم التفرقة العنصرية والدول التي قامت فيها النظم الاشتراكية والمجتمعات التي قامت فيها الثورات استعجالا للتكيف الثقافي مع الحضارة الحديثة.

وذلك لأن صدمة التكيف الثقافي تتطلب إعادة تقدير للموقف ووزن الأمور بما يجعل بعض القيم الأولية ترتد إلى قيم ثانوية وتحل محلها قيم جديدة لأنها أصلح للظروف الواقعة، إذ أن ترتيب القيم فى الأهمية يتغير في كل عصر حسب الظواهر الاجتماعية المتشابكة وعوامل التغير.

أثر التكيف الثقافي على المجتمع الحضري

نظرا لأن المجتمع الحضرى يستند على التبادل الصناعي والتجاري والحضاري فإنه يكون دائماً كثير الاتصال بالمجتمعات الأخرى، ولا تنقطع فيه حالات التكيف الثقافي، بل هو فى حالة صراع مستمر بين الثقافات التي تتفاعل في محيطه .

وتلك صفة ملازمة للمجتمع الحضري تجعله في حالة تغير متواصل وعدم استقرار ثقافي يسوده فترة طويلة، فكلما انتهى إلى معايير جديدة وفق بينها وبين معاييره القديمة، فاجأته ثقافة جديدة بمعاييرها فيقوم بالتوفيق بينهما دون أن يقضى على الثقافة القديمة تماماً، وذلك بوضع عناصر الثقافة الجديدة في قوالب الثقافة القديمة .

الفصل الرابع

مشكلات التحضر

أولا: مشكلة البطالة.

ثانيا: مشكلة النقل والمرور.

ثالثا: مشكلة الإزدحام

رابعاً : مشكلة الإسكان.

خامساً: مشكلة التلوث.

سادسا: مشكلة العشوائيات

أولاً:مشكلة البطالة :

البطالة هي مرض النظام الصناعي، تنتج عن مدى النشاط والكساد، وعن عدم التوازن بين العرض والطلب، فيكثر العرض من الراغبين في العمل، وعلى ذلك فهي تعني كل من كان قادرا على العمل، ثم عجز عن الحصول عليه بسبب سعارض من عوارض التعطل التي تنطةي عليها سوق العمل .

ولقد كانت الأزمة الاقتصادية الكبرى في المدن وعيوب النظام الرأسمالي واضطرابات العلاقة بين أصحاب العمل والعمال وما ينشأ عن ذلك من اعتصام العمال واضرابهم عن العمل سببا في تعطيل الكثير من العمال، وأرباب الحرف بغير إرادتهم، وزاد عدد العاطلين من الحاصلين على الشهادات الدراسية، وكذلك العمال اليدويين الذين لهم إلى حد ما دراية بإحدى الصناعات.

أشكال البطالة

من الممكن أن نلخص أشكال البطالة في:

١- البطالة السافرة

وهي تعني خلو العامل من العمل، على الرغم من قدرته عليه وذلك السبب خارج عن قدراته ولا يشترط لأن يكون الفرد عاطلا أن يسجل في مكاتب أو يحصل على إعانة .

وقد زادت البطالة في الأونة الأخيرة بسبب زيادة عدد الخريجين من المدارس والجامعات زيادة هائلة بالنسبة للمعروض من فرص العمل التي قلت كثيرا بعد نظام الخصخصة المستحدث والذي بمقتضاه يتم الاستغناء عن عدد كبير من العاملين بالشركات التي وقعت تحت هذا النطاق الاقتصادي الجديد .

٢- البطالة المقنعة :

وهي الحالة التي يعمل فيها الإنسان بعمل معين ويتقاضي أجرا غير أنه لا يسهم مساهمة جدية في الإنتاج الفعلي، فالاستغناء عن هذا الإنسان لا يؤثر على العملية الانتاجية ،وعلى

ذلك يمكن تعريف البطالة المقنعة بأنها ذلك الجزء من العمالة التي يمكن سحبها من اليد العاملة في المزرعة أو المصنع أو المكتب الحكومي أو غيرها دون أن ينخفض الإنتاج. ويعتبر هذا النوع من البطالة صفة من صفات الدول المتخلفة.

٣- البطالة الهيكلية :

وتنشأ نتيجة للتغيرات في هيكل وفنية الإنتاج وما يؤدي إلى إحلال الآلات الحديثة محل الآلات القديمة الأثر الذي يترتب عليه ضعف الحاجة إلى نفس العمال الذين يعملون على الآلات القديمة، وهذا يعني أنه كلما تقدمت التكنولوجيا بآلاتها الحديثة كلما زادت حدة البطالة الهيكلية.

٤- البطالة الاختيارية:

وتعني عمل الفرد لبعض الوقت والتوقف لبعض الوقت الآخر. وقد يحدث هذا الخيار بين العمل ووقت الفراغ عندما يحقق الفرد مستوى مرتفعا من الدخل وغالبا ما يحدث هذا في المجتمعات التي حققت نموا متقدما في الاقتصاد.

والبطالة هي مصدر المشاكل الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، ففقدان العمل، يترتب عليه فقدان الدخل أو الخفاضه، وهي ذات ارتباط وثيق بالفقر.

والفقر مفهوم معقد، مفهوم لا يمكن تعريفه بمؤشر واحد فقط، فأي محاولة لتعريفه لابد أن تأخذ في الاعتبار معايير متعددة هي الدخل ،الممتلكات ،التعليم ،التغذية ،الطبقة أو الفئة، إمكانية الحصول على خدمات عامة معينة، وهلم جرا.

ويمثل الفقراء في أي مجتمع ادنى مستوى للأجور، وأدنى مستوى للمعيشة وتتجلى مظاهر الفقراء في توزيع الدخل القومي على الأفراد توزيعا غير عادلا وارتفاع الأسعار بما لا يتناسب مع الأجور، والنقص الشديد في كمية الغذاء، واستخدام اللحوم في المواسم والأعياد فقط، وعدم قدرة الأسرة الفقيرة على شراء السلع الكمالية وقلة استهلاك الكهرباء.

ويتفشى بين الفقراء الجهل والأمية، وعدم الرعاية الصحية، وانتشار الأمراض والأوبئة، وارتفاع معدلات الوفيات وقد ربط العلماء بين الفقر وظهور المناطق المتخلفة والعشوائية .

ويبدو أن الفقر عامل هام في ارتفاع معدل الانحراف والجريمة، وعلى وجه الخصوص جرائم الاعتداء على المال العام والسرقة وانتشار ظاهرة التسول والتشرد ، كما أنه أحد الأسباب الهامة التي تؤدي إلى ظهور البطالة.

كما أن الفرد المتعطل الذي لا مكان له في الدراسة أو المصنع أو في خضم الحياة الاقتصادية، والمحروم من الكسب الشريف يحس بالفراغ فهو يأنس في نفسه القدرة على الكسب، ولكنه لا يجد عملا وهنا يبدأ في الاعتقاد بضرورة الحصول على الكسب من أي طريق، فيقوده هذا إلى السرقة، وعدم صيانة الأمانة، أو تدفعه إلى الاتجاه إلى المخدرات بغرض الهروب من الواقع والشعور بالإحباط.

ويترك تصرف الوالدين أأثرا خطيرا على سلوك المتعطل فقد تثرثر والداته كثيرا بأنها ما زالت تطعمه، وهو في هذه السن وقد يدأب على إعلان سخطها وضيقها وتبرمها لملازمته المنزل. وقد يهدده والده صباح مساء بالطرد من المنزل إذا لم يبادر بالحصول على عمل وتحت تأثير الفزع من أن ينفد الوالد وعيده يهرول الفتى إلى الحصول على المال من أي طريق حتى لو كان طريق النصب أو الاحتيال أو السرقة كذلك الأمر بالنسبة للفتاة التي قد تنحرف إلى طريق الرذيلة .

وعلاج البطالة يعتمد كل الاعتماد على علاج النظام الاقتصادي ولمواجهة البطالة الحقيقية تعمل الحكومة على جذب رؤوس الأموال الأجنبية والعربية، ولا شك أن الاستقرار السياسي والاجتماعي يساعد على ذلك، وتسمح هذه الأموال بفتح أفاق جديدة للإنتاج في الحالات المختلفة كلما كان ذلك ممكن كما تستعين بالتكنولوجيا الحديثة في الصناعة كما تعمل على انشاء صناديق اجتماعية حول المشروعات الصناعية الصغيرة .

وينبغي كذلك الاهتمام بالتنمية البشرية وتدريب العمال على مختلف أجزاء العملية الإنتاجية، حتى إذا اضطر جزء من المصنع أن يقلل كمية إنتاجه من ناحية تحويل عماله إلى الفروع الأخرى من المصنع بدلا من تسريحهم وتعريضهم للبطالة .

وعلى جانب أخر زاد الاهتمام بالتعليم الفني وذلك بإنشاء مدارس فنية تعنى بتعليم الحرف أو المهن الفنية التي تساعد طبيعة الإقليم على مزاولتها فيه.

ثانياً:مشكلة النقل والمرور:

تمكن وسائل النقل الناس المنفصلين مكانيا من اعتماد بعضهم على بعض ومن هنا تبرز الوظيفة الأساسية للنقل على أنها تكامل النشاط البشري في المكان من خلال تبادل المنتجات والأنشطة وتجميع وتوزيع الناس والطاقة والبضائع.

وبما أن المدن يختلف بعضها عن بعض في عدد من الخصائص التي من تميز كل مدينة على حدى، ومع ذلك فإن مشكلة النقل والحركة والاتصال في المدن الكبرى تمثل إحدى المشكلات البي يلمسها سكان أو زوار جميع المدن فقد أدى معدل التحضر السريع إلى زيادة أسرع في الطلب على النقل السريع، وزاد ضغط السيارات على محاور التنقل في المدن التي لم تكن قد صممت بحيث تستوعب هذا الكم من الحركة.

فكثيرا ما تتوقف حركة السكان والبضائع بتأثير الازدحام، وحوادث المرور ويشكل ذلك إهدارا وضياعا للوقت والطاقة، والجهد البشري، والمال كما أن له اثاره على الإنتاج وتصبح السيارات التي تتحرك ببطء شديد في الشوارع مصدرا للتلوث كما أن هذا يعطل السيارات التي لا تتحمل السير ببطء مثل سيارات الإسعاف والنجدة واطفاء الحريق وتبدو هذه المشكلة في العلاقة بين السكن والساكن، وأماكن العمل، وارتفاع الكثافات السكانية بمعظم الأحياء وهي تتصل تصالا مباشرا بالحياة اليومية للمواطنين ولها آثارها على الإنتاج.

وتظهر في المدن وسائل النقل العام وهي مكدسة بالركاب مما يؤدي إلى كثير من الأعطال، ويقلل من عمرها الافتراضي .

وتؤدي الزيادة في ملكية السيارات الخاصة والسعة غير الكافية للشوارع إلى طول وزيادة ما يعرف بساعة الذروة، وهي التي يتجه فيها العاملون إلى مناطق العمل صباحا، أو يعودون فيها إلى المناطق السكنية. وتبلغ ساعات الذروة في بعض المدن مثل (تايلاند) وساو باولو البرازيل) ولاجوس (نيجيريا)، ومدن أخرى عديدة ما يصل إلى ١٢ ساعة في اليوم الواحد. وفي تلك الساعات تختنق الطرق وعلى وجه الخصوص في منطقة العمل المركزية، والمداخل المؤدية لها، وعند التقاطعات التي تتلاقى عندها شبكة وسائل النقل وفضلا عن ذلك

تظهر مشكلة الانتظار وسط المدينة، ومشكلة المشاة وعدم توفر الأرصفة الخالية، بالإضافة إلى وقوع الحوادث .

وفي العالم العربي ترتبط ملكية السيارات الخاصة بالظاهرة الاقتصادية والاجتماعية والغالبية العظمى من أصحاب السيارات الخاصة يمتلكونها لاستخدامها للرحلة من وإلى العمل وقد أدى ارتفاع عدد السيارات في المدن العربية إلى ظهور مشكلة النقص في مواقف السيارات وانسياب حركة المرور في الطرق والشوارع.

هذا وعندها نشير إلى مشكلة النقل يتفتق الذهن عن ظهور مشكلة أخرى مرتبطة بها هي مشكلة اختناق المرور، وهي تعد أهم مشاكل المدينة في العصر الحديث.

فلقد زاد ضغط السيارات على محاور النقل في المدن التي لم تكن قد صممت بحيث تستوعب هذا الكم الهائل من السيارات العامة والخاصة.

ولمواجهة المشكلة يضع مخططو المدن في اعتبارهم أن تدبير وسائل النقل يرتبط بالطرق التي ستتحرك عليها هذه الوسائل، ولهذا تسعى المدن حاليا إلى إنشاء الشوارع، وبحيث لا تتجاوز وسائل النقل مساحة الطرق، وبحيث لا تختلط هذه الوسائل المتفاوتة السرعة، فتعرقل إحداهما الأخرى.

وفي وقتنا الحالي يقوم رجال المرور بتنظيم حركة المرور باستعمال بعض الشوارع المرور عربات النقل، ومنع استعمال بعض أنواع العربات في بعض الشوارع الأخرى.

ولا مناص في حل مشكلة النقل من أدوار أخرى للطرق سواء في أنفاق تحت الأرض أو فوقها في طرق علوية وغيرها.

ثالثاً :مشكلة الإزدحام :

إن الزحام في الأساس حقيقة مادية تصف زيادة عدد البشر الموجودين في مكان ما عن الإمكانيات الاستيعابية في هذا المكان .

وبهذا المفهوم يمكن أن يوجد الزحام في كل مكان في الأماكن العامة كما في الأماكن الخاصة، فالزحام في السكن ظاهرة استرعت انتباه علماء الاجتماع الحضري منذ زمن بعيد لما تنطوي عليه من آثار بعيدة المدى على سائر النظم الاجتماعية (أي على حياة كل البشر الموجودين داخل هذا المسكن)

وهناك زحام في اماكن العمل وهو أمر ينبغي في الظروف العادية ألا يحدث فهو في مواقع العمل الإنتاجية يتعارض أشد التعارض مع أصول الإدارة الصحيحة وهو في مواقع العمل الخدمية إفساد وتحطيم لأداء أجهزة تلك الخدمات لواجباتها .

والزحام قد يكون في أماكن الترويح (كالحدائق العامة ودور السينما والمسارح وغيره)، كما قد يحدث في معاهد التعليم، حيث تكتظ قاعات المدارس و مدرجات الجامعات بأعداد من الطلاب تفوق إمكانيات المكان، أو مقتضيات التعليم السليم .

والزحام أيضا ظاهرة ليست نادرة الحدوث في الأماكن العامة بأنواعها في موالد الأولياء كما في مرافق النقل وفي الأسواق، كما في غيرها من الأماكن المفتوحة بحكم طبيعتها لتدفق أنواع شتى من البشر، ويكون الزحام دائماً مظهراً من مظاهر اختلال الوظيفة التي يؤديها هذا المرفق العام.

ويعتبر الزحام جزء هام ومكون أساسي من مكونات ظاهرة حضرية مرضية تعرفها مدن العالم الثالث هي ما يطلق عليه علماء الاجتماع الحضري "التحضر الرث" .

والتحضر أي نشأت ونمو المدن مظهر من مظاهر التقدم والمدنية في بلاد الغرب الآن، ولكنه يمكن أن يفرخ نمطاً من التحضر المتخلف أو الرث الذي نصادفه في بلاد مثل مصر، أو الهند أو الفلبين أو كثير من العواصم الإفريقية .

والبيئة الحضرية الرثة تكوم أحياء في قلب المدينة أو على أطرافها، قد تكون عتيقة وقد تكون حديثة النشأة، مساكنها في مستوى متخلف أشد التخلف، ليست بها شبكة مرافق (من طرق ومياه وكهرباء وصرف صحي) أو شبكة مرافقها منهارة أو قاصرة، مقومات وجودها الاقتصادي ليست متكاملة، وفي جميع الأحوال تعاني من كثافة سكانية عالية، تضغط ليس فقط على تلك المرافق المتهالكة ولا على المساحات القليلة الضيقة، ولكنها وهذا هو المهم – تطور نسقاً من العلاقات الاجتماعية المضطربة، التي تعاني من عدد من السلبيات، وتواجه أنواعاً شتى من الأزمات، أبرزها أزمة نسق القيم.

وجدير بالذكر أن ظاهرة الزحام لها أبعاد بعضها سلبي والآخر إيجابي ولا يصح لنا أن نتحدث عن جانب دون الآخر، فالموضوعية العلمية تحتم علينا إنصاف الحقيقة. وبعض الحقيقة أن الزحام وسط عدد كبير من البشر، من مختلف الأعمار ومن كلا النوعين (ذكور وإناث)، ومن شتى الأوضاع والمواصفات تضع الفرد في قلب شبكة كثيفة من التفاعلات الاجتماعية وما من شك في أن تلك المعاملات تكثف الخبرة البشرية لهذا الفرد، فيصبح أكثر نضجاً، ربما قبل الأوان، وأكثر دراية بنوعيات البشر وطبيعة المواقف الاجتماعية على خلاف فرد آخر لم يتعامل حتى دخوله الجامعة تعاملا مكثفاً إلا مع اثنين أو ثلاثة من البشر.

والفرد الذي يعيش في الزحام تتجمع عنده أطراف علاقات، وتترامى إلى أسماعه أخبار واحداث وتتوفر له خبرات عدد كبير ممن يعايشهم فتختلف رؤيته للعالم كثيرا عن رؤية واحد من الابناء المنحصرين في عالم بشري محدود يجد نفس النوعية المتاحة في بيته هي نفسها في المدرسة الخاصة هي تقريبا التي يلقاها في النادي أو في المصيف ولا يتاح له أن يكسر حاجز الطبقة المحدود إلا إذا أتيحت له فرصة دخول الجامعة أو ربما بعدها عند الالتحاق

بعمل والتفاعل المباشر مع مئات من الناس، فابن الزحام حدود رؤيته للعالم أوسع من حدود بيئته بكثير وهذا ملمح إيجابي.

وفي الزحام يعيش بالضرورة بعض كبار السن بين أبنائهم وأحفادهم، حقيقة انهم يعيشون وجوداً اجتماعياً محروماً من كثير من الوجوه، ولكنهم لا يحتاجون وربما لن يحتاجون في المستقبل إلى المعيشة في دار للسنين، فالجميع يرعاهم، وهم وسط الزحام خير من عجوز يموت وحده في مسكن فسيح متسع في حي أنيق ، ويبقى في سريره فترة كبيرة إلى أن تكتشف بالصدفة المحضة جثته وقد تحللت دون أن يدري به أحداَ .

إن المناطق المزدحمة على العكس من ذلك مدرسة لتعليم التكافل الاجتماعي والتدريب عليه، فلا يمرض أحد إلى أن يموت ،وحده، وإن مات أحد لا يُترك حتى يتحلل ، وسعي كل واحد من أفراد الجماعة المزدحمة ليس بعيدا تماما عن مطالب الآخرين واحتياجاتهم لأن التكافل الاجتماعي سمة لمن يعيشون في زحام .

وحياة الزحام هي في النهاية قد تكون وقاية من التعرض لبعض الأمراض التي ارتبطت بالمجتمعات الحضرية الحديثة المتقدمة، فهي لا تجعل الإنسان الذي يعمل في الزحام مستشعر الوحدة، أو يصاب بالاكتئاب أو يتجه إلى الانطواء، أو يتجه إلى الانتحار، تلك علل نفسية اجتماعية قليلة التواتر في بيئة الزحام .

ولم نسرد ذلك لنتغنى بمزايا الزحام، ولا بتسليمنا بتلك الحقائق نرى الزحام ظاهرة اجتماعية مرغوبة. فكل واقع إنساني له مزاياه وله عيوبه، فإذا أجرينا توازناَ بين الملامح

السلبية والملامح الإيجابية للزحام، فسوف يتضح لكل ذي عينين، أن السلبيات تفوق الإيجابيات.

ولكن قبل أن تتحدث عن تلك السلبيات لابد لنا أن تعرف أين يتمركز الزحام الذي ينتج عنه تلك السلبيات؟

إن الصورة التقليدية له أنه موجود في الأحياء المتخلفة والقديمة المتهالكة من المدن في بلاد العالم الثالث في أحياء المهاجرين وواضعي اليد وفي الجيوب الريفية داخل المدن ، وفي بلادنا نجده فضلا عن الأحياء العشوائية فهو في كثير من الأحياء الشعبية .

ولكن الطريف أن الزحام بدأ يغزو بيئات جديدة، لم تكن تعرفه من قبل هي بيئات وأحياء الطبقة الوسطى التقليدية، بل والشرائح العليا من الطبقة الوسطى. فالزحام يدخل في كل مكان حلت فيه أزمة الإسكان، حيث يعود نظام الأسرة الممتدة الجديدة بسبب زواج الأبناء والبنات مع آبائهم أو ذويهم فتتكون أسر جديدة في أحضان الأسر القديمة وتعود عجلة التاريخ إلى الوراء، فتظهر تحت وطأة الواقع الاجتماعي المتأزم ظواهر كان المفروض أن التاريخ طواها بالفعل وتبدأ مشكلة الزحام في أحياء وأوساط لم تكن بيئات مزدحمة من قبل على الإطلاق.

ولكن كيف يمكن قياس الوحام؟

لقد سعت " أوني ويكان " إلى قياس الازدحام في المسكن على أساس درجة شعور السكان أنفسهم بما يعتبرونه قيما معيشية أساسية، ولكنهم يعجزون عن تحقيقها بسبب ضيق المكان.

ومن بين تلك القيم التي يعتزون بها :

١- ان يكون لكل فرد الفرصة في أن ينام في سرير. وهذا مطلب ضروري للغاية في الشتاء بوجه خاص، حيث يكون بلاط الغرفة باردا كالثلج.

٢-ان تخصص غرفة مستقلة للوالدين.

٣-ان تخصص غرف نوم مستقلة لكل من الأخوة والأخوات منذ البلوغ.

٤-ان توفر فرصة استقبال الضيوف الذكور غير الأقارب في غـرف لا تكـون مخصصة لنوم أو جلوس النساء.

٥-أن يكون لكل أسرة مطبخ خاص معزول عن عيون الزوار الفضوليين المتربصين بالنقد

و المعاينة

وقد درست ويكان دراسة انثروبولوجية مفصلة ومكتفة لسبعة عشر اسرة وانتهت بعد تطبيق تلك المعايير إلى النتائج التالية :

١= لا توفر أي أسرة، ولا واحدة من الأسر المدروسة أسرة النوم جميع افراده والمقصود بالسرير السوير المفرد أو نصف سرير مزدوج وانتهت الدراسة في أن عدد أفراد تلك الأسر يبلغ ١٠٠ فرد ينام منهم ٥٧ فقط على أسرة بالمفهوم السابق تحديده) ، ويصل الأمر في الواقع السلبي الذي سجلته فعلا إلى نوم سبعة أطفال على سرير واحد مزدوج وهناك أسر لا تستطيع الاستغناء عن استخدام الأرض للنوم صيفا وشتاء.

٢- من بين الأسر الأربعة عشر المكتملة التي ضمها البحث لا توفر غرف نوم مستقلة للوالدين والأبناء فوق أربع سنوات سوى أسرة واحدة فقط.

٣- هناك أربع أسر تضم مراهقين من الجنسين، وهم جميعا ينامون في غرفة واحدة مشتركة

٤- هناك ست أسر لديها غرف جلوس (حسب تعبيرهم لاستقبال الضيوف. ولكن الجدير بالذكر أن نشير إلى أن خمسا من تلك الأسر الستة ما زالوا في مرحلة مبكرة من حياتهم الزوجية، حيث لم ينقض على زواج الوالدين أكثر من عشر سنوات وليس لكل منهم أكثر من ثلاثة أطفال، ولكن عند نمو الأطفال فالغالب أن يباع أثاث غرفة الاستقبال هذه، وتشتري بها أسرة للنوم ومن ثم تتحول غرف الاستقبال إلى غرف للنوم. أما الأسرة الوحيدة التي لديها غرفة استقبال خاصة حتى الآن وهي في مرحلة متأخرة من دورة حياتها الزوجية فإنها تستطيع ذلك لأنها تدع نصف أبنائها والبالغ عددهم أحد عشر يفترشون الأرض للنوم في غرف الشقة الأخرى.

٥- واتضح أن عدد ست أسر من الأسر السبعة عشر ليس لديها مطبخ إطلاقاً.

أما عن الزحام والنظافة فإننا سوف نجد أن البيئة المزدحمة تعاني من مشكلة تواضع معايير النظافة ، ومشكلة النظافة تتعدد مجالاتها ومستوياتها فالنظافة في الحي المزدحم متواضعة الشوارع، وواجهات البيوت والمحال العامة الخ ونظافة المسكن دون المستوى المطلوب لأي إنسان فهي نتيجة طبيعية لانهيار المرافق بل انعدامها أحيانا، وتواضع المعايير الاجتماعية.

ان متطلبات النظافة ناقصة والشروط الواقعية لا تسمح هي الأخرى بذلك والسبب الأقوى لكل هذا أن الزحام هو في الأساس قرين الفقر ونقص الإمكانيات، لذلك أصبح الزحام قرين انعدام النظافة في كل شيء.

والملاحظ فضلاً عن هذا أن الحياة في بيئة مزدحمة تؤدي حتما إلى الخشونة والغلظة في التعامل مع الآخرين وبعض تلك المظاهر يعود بالقطع إلى اعتبارات وعوامل مادية، وبعضها يعود إلى طبيعة التفاعلات الاجتماعية بين أبناء الزحام.

فكثرة الناس تؤدي إلى علو الصوت في التخاطب مع الآخرين فيصبح رفع الصوت أسلوباً في الحديث والزحام وعلو الأصوات يدفعك إلى أن ترفع صوت الراديو أو التليفزيون أو الميكروفون كذلك الزحام في الشارع يدفع سائق السيارة إلى كثرة استخدام نفير السيارة. وهكذا نجد في النهاية أن الزحام يجعلك تعتاد الضوضاء، بل وتتخذها أسلوباً في التعامل مع نفسك ومع الآخرين .

كما أن كثرة الناس بما يتبعها من تعدد المشاحنات وتشعب الصراعات في المجتمع المزدحم تؤدي إلى وجود خاصية مميزة لمعظم أبناء الزحام وهي التحفز الدائم والاستعداد الفوري للدخول في الصراع واعتياده والاعتياد على تصعيده باستمرار، فلا يكفي التوقف عند خط معين ولكن البيئة المتحفزة "الساحة" تعود صاحبها أن يأخذ أهبته الدائمة للحرب والنزال، وأن يتصاعد بأساليبه ، وبديهي ما يعنيه ذلك من ضرورة التصعيد على الجانب الآخر. إن البيئة المزدحمة بيئة ساخنة دائما حادة الفعل ورد الفعل متحفزة تكاد تتسم بالعدوانية .

ومن الملاحظ أن البيئة المزدحمة بيوتها متلاصقة وشوارعها ضيقة، ونوافذها متقاربة يكشف بعضها بعضا وداخل الشقة الواحدة قد تشترك عدة أسر كل منها يسكن حجرة أحيانا أكثر من أسرة واحدة في الحجرة الواحدة، وأحياناً أسرة في مكان المطبخ، وأسرة في الصالة، وأسر ينام بقية أفراده في طرقات الشقة وفي الممرات والردهات داخل الشقة وخارجها.

فإذا دخل ساكن من سكان هذه الشقة متأخراً كان عليه أن يخوض وسط " الأجساد النائمة، الجميع يرى الجميع، والكل يعرف كل شيء عن الآخرين، كل واحد يستطيع أن يتدخل في شئون الآخرين، كما يتدخلون هم في كل شئونه ، الإنسان يعيش تحت أعين عشرات أو منات من البشر في كل لحظة من حياته، أي أن هناك ضياع للخصوصية وسط هذا الزحام الهائل.

والطريف أن نلاحظ أن المسكن المزدحم يحوى أثناء النهار عددا من البشر أقل كثيرا من العدد الذي يضمه عند النوم. بل إننا نعرف جميعا أن المسكن في البيئات المتخلفة هو في المقام الأول مكان للنوم. فالرجال طوال اليوم في أعمالهم وبعد ذلك يمضون المساء وأول الليل على المقهى والأطفال في مدارسهم أو اعمالهم أو يلعبون في الشارع، والنساء أمام البيت أو على الأسطح أو في النوافذ وعندما يدخل الليل، يتجسد جانب من المأساة، فالإمكانيات لا تسمح بالفصل بين مكان نوم الكبار ومكان نوم الصغار، وكذلك لا يمكن الفصل بين المتزوجين وغير المتزوجين ولا الفصل عموما بين البنات والبنين.

إن جانيا من أهم جوانب إنسانية الإنسان، ومظهرا من أهم مظاهر خصوصيته يتجسد في هذا الموقف، الذي يعد واحدا من أسباب تواضع قيمة الحياء، وعاملا من أهم عوامل اهتراز صورة ،الذات وباباً من أقوى أبواب الانحراف والتفكك الأسري وليترك كل منا لخياله العنان في تصور الآثار السلبية لهذه الظروف، فالقلم مهما أوتي من قوة البيان سوف يعجز عن تصوير مرارة الواقع وسلبيته.

ان الزحام والظروف المصاحبة له لا تؤثر بالسلب على علاقات الأسرة التي تعيش تحت سقف واحد فحسب ولكنها تدمر في نفس الوقت قيما عائلية أوسع تعتز بها الأسرة المصرية .

ويذهب الباحثون على أن الطفل هو أكثر أفراد الأسرة تعرضا لأعظم التأليرات السلبية نتيجة لظروف معيشة الأسرة الحضرية في بيئة مزدحمة .لها التأثير السلبي الأكبر على مستوى تعليم الأبناء من الذكور والإناث .

و يمكننا أن تلفت النظر هنا إلى خطورة الآثار السلبية للحياة في منطقة مزدحمة متخلفة بها لا تؤثر على الفرد في موقف معين أو بشكل عارض، ولكنها تغرسفي الطفل قيما واتجاهات مدمرة تبقى معه بقية حياته تجاه الثقافة السائدة في المجتمع.

رابعاً :مشكلة الإسكان :

المسكن..

يعتبر المسكن أحد الحاجات الأساسية، وعنصرا هاما يحدد نوع الحياة، فهو يقدم المأوى، ويوفر مختلف الإمكانيات والتسهيلات التي تضفي على الحياة المنزلية الراحة والطمأنينة والأمانة وهو كذلك تؤثر في صحة الفرد وبالتالي في إنتاجيته ويؤثر على حالته النفسية، إذ أن المساكن المزدحمة ترهق الأعصاب ، فعدم إيجاد المسكن الملائم يعطل كثيرا من الزيجات، أو يدفع إلي السكن مع أسرة أخري لما يكون له آثار سيئة على الحياة الأسرية، يل وعلي العلاقات الاجتماعية

وفي هذا الخصوص يقول M.Bryee أن المكان الذي يسكن فيه الفرد يعد أمرا حيويا في تكوين شخصيته وعاملا مؤثرا في صحته النفسية والجسدية والاجتماعية. ولقد كشفت دراسات عن أن الخمول وهبوط الحيوية هي من أهم أسباب اختلال المزاج والإدمان، وأن ظروف الإسكان الرديئ من أهم الأسباب المباشرة لهذه الأمراض الاجتماعية .

وللمسكن جوانب متعددة، فهو ذو طابع اجتماعي وثقافي وصحي واقتصادي وسياسي وايكولوجي فبالنسبة للجانب الاجتماعي يضطر كثير من الفقراء إلى العيش في الأحياء الفقيرة. والتي يتسم فيها المسكن بوجود الضوضاء وتلوث الهواء والروائح الكريهة وتعذر الخصوصية ،

وترتبط مشكلة الجريمة بالظروف السكنية غير الملائمة .

وعن الجانب الصحي يقرر وود Wood أن من المتاعب الأساسية التي تواجه ساكن المدينة هي ندرة المساكن الصحية ذات المستوى اللائق والمقبول والتي تناسب قيمتها

الايجارية مع دخول الفئات السكانية ذات الأجور المنخفضة وتساعد ظروف المساكن الغير صحية علي انتشار الأمراض المعدية، ولا سيما المنقولة بالهواء منها. وقد تبين من الدراسات أن هناك ثمة ارتباط وثيق بين ردائة المسكن والتدرن والتيفود والإسهال وأمراض معوية أخري كما لاحظ وجود ارتباط بين طول ووزن الطفل وبين حجم الحجرة في المنزل.

ولوحظ كذلك وجود ارتباط وثيق بين نسبة الوفيات، وخاصة الأطفال وكثافة المسكن، ومعدلات التزاحم السكاني .

والمسكن يعتبر مسألة اقتصادية، أو بالأخرى محصلة مجموعة من العوامل الاقتصادية مثل تكاليف الموقع والبناء والصيانة. كما تتعلق مشكلة السكن بموضوع الدخل. حيث يخلق انعدام التوافق بين المستوي السكني والمستوي الاقتصادي مشاكل جمة خاصة في البلدان الفقيرة أو المتخلفة.

ما هي مشكلة الإسكان؟

تختلف تعريفات مشكلة الإسكان باختلاف الأولوية التي تعطي لبعض عناصرها علي البعض الآخر. فقد ينظر إليها باعتبارها حالة أو موقف يتسم بندرة المسكن الملائم للأسر والأفراد. وقد ينظر إليها علي اعتبار أنها تجسيد واقعي لارتفاع القيمة الايجارية للمساكن على النحو الذي يفوق قدرة الأفراد ذوي الدخل المنخفض او تجعلهم يخصصون نسبة كبيرة من دخولهم المنخفضة لإيجار المسكن الملائم .

ويبادر إلى أذهاننا سؤال مؤداه هل هناك مشكلة إسكان ؟ ولكي نجيب علي هذا السؤال نقول: نعم هنالك مشكلة إسكان وهي تعد من أهم المشكلات التي تواجهها المدن الكبيرة سريعة النمو حيث تزداد درجة التراحم في الكيلو متر المربع في المدينة، وترتفع المباني وتتضاعف المساكن، وترتفع الإيجارات نتيجة ارتفاع قيمة الأرض.

وبالإضافة إلى ذلك، فإن ارتفاع معدلات الهجرة من الريف إلى المدن وزيادة حدة المضاربات لعمليات التشييد والبناء، وجشع الملاك – كل هذه العوامل والأسباب – من شانها أن تحدد الظروف السكنية، وتؤدي إلى أزمات سكنية وعواقب اقتصادية واجتماعية خطيرة.

ففى العالم العربي مثلا تعاني المدن من مشكلة نقص في عدد المساكن المناسبة ويكون المطلوب من الوحدات السكنية أكثر كثيرا من المعروض أو قد يكون هناك عدم توفر مساحات لإقامة مشاريع الإسكان عليها .

ففي مدينة العين بالإمارات العربية فإن المشكلة في نسبة المعروض من الوحدات السكنية أكثر من نسبة المطلوب منها، في حين أنه في مدينة القاهرة هناك عجز في الإسكان.

وهناك مشكلة الإسكان السيء من حيث تخطيط المناطق السكنية والمساحة اللازمة لكل أسرة، ونصيب الفرد منها، ومعدلات التزاحم و الكثافات السكانية الغير محتملة في مناطق الإسكان خاصة في المدن العربية الكبيرة، حيث تبلورت هذه المساكن كلها على شكل مناطق متخلفة .

مظاهر المشكلة الإسكانية:

١-النوم على الأرصفة :

يلجأ الانسان إلى افتراش الرصيف عندما لا يجد مأوى ، إما بسبب عدم وجود دخل لديه أو لتعذر إيجاد مسكن مناسب بما لديه من دخل .

احتلال أراضي الغير :

ومن مظاهر مشكلة الإسكان احتلال أراضي الغير، فبنزوح سكان الريف إلى المدن احتل هؤلاء السكان أراضي الغير من أجل إقامة مسكن لهم ، ويطلق علي هذه الفئة المحتلين أو واضعي اليد. وهذا الاحتلال ليس مقصورا على أراضي الدولة. بل قد يمتد ليشمل الأراضي

الخاصة التي يملكها أفراد أو هيئات خيرية أو دينية، ولا شك أن هذا النوع من الاحتلال يعرقل كثيرا من مشروعات التنمية والتخطيط لتكوين مدن جديدة، كما يعوق الاستقرار السياسي .

معالجة مشكلة الإسكان .

ولحل مشكلة الإسكان، فإنه ينبغي زيادة عدد المساكن بنسبة تفوق زيادة عدد الأفراد. وهذا ما انتهت إليه الحكومات المختلفة وعملت على تطبيقه.

فقد قامت تعاونيات لبناء المساكن في كثير من البلدان الأوربية والعربية كونت هذه التعاونيات جمعيات توفر الحصول علي الأرض، وتقوم ببناء المساكن بنفسها لتخفيف تكاليف البناء ويقدم الإسكان التعاوني مزايا عديدة لأعضاله، فهر يقوم بشراء قطعة أرض كبيرة سعرها أقل من سعر القطع الصغيرة. كذلك فإن البناء التعاوني لعدد من المساكن في آن واحد يقلل من تكاليف البناء ويوفر للأعضاء ما كانوا يدفعونه للسماسرة والمقاولين .

و لقد أصبحت فكرة المساعدات الحكومية للإسكان من الأفكار المنتشرة في جميع أرجاء العالم النامي ومع ذلك فإن معالجة مشكلة الإسكان وبناء مساكن بديلة تفوق عادة موارد هذه البلدان وتحاول مصر حل هذه المشكلة بتوفير مجتمعات عمرانية جديدة وتوفير مشروعات الإسكاني الشبابي حيث انشقت مدن تابعة حول المدينة الأم لتخفيف الضغط السكاني، وخلخلة الكثافة، ونقل بعض الأنشطة الملوثة خارجها، فكانت المجتمعات الجديدة حول القاهرة الكبرى كذلك كانت المدن التوام (الشقيقة) في الصعيد مثل بني سويف الجديدة والمنيا الجديدة وغيرها.

وفي هذا المجال اتجهت الدولة إلى إنشاء مدن مستقلة فوق الأراضي الصحراوية، وهي مدن تتوفر لها ركيزة اقتصادية قوية، وتعد قطبا للتنمية ويتمثل ذلك في مدن ٦ أكتوبر، والعاشر من رمضان ومدينة السادات، وبرج العرب والنوبارية، ١٥ مايو، والعبور وغيرها من الأحياء الصناعية في المحافظات المختلفة أملا في أن تستوعب هذه المدن والتجمعات

العمرانية معظم الزيادة السكانية الناتجة عن الهجرة إلى المدن ، هذا وبالرغم من هذه الجهود، فإن أزمة الإسكان مازالت مستحكمة، وربما في الوقت الحالي نجد في كثير من المدن الجديدة أو المدن الأم كثير من المساكن المعروضة ولكنها تفوق امكانيات الأسر وخاصة الشباب .

خامساً :مشكلة تلوث البيئة :

تلوث البيئة من العلوم الحديثة التي فرضت نفسها على الإنسان المعاصر الحديث، وعلى وجه الخصوص بعد الثورة الصناعية، وما تبعها من تغييرات صناعية وبيئية وغيرها. ويتكون تلوث البيئة من كلمتين: pullution، والبيئة Environment.

والتلوث ظاهرة بيئية ترتبط بالدرجة الأولي بالنسق الايكولوجي .Ecosystem إنه حالة من عدم النقاء أو عدم التوازن، أو أنها كل عملية تنتج مثل هذه الحالة فهي تغير كمي أو كيفي غير مرغوب في الخواص الطبيعية، أو الكيميائية، أو البيولوجية للبيئة المحيطة (هواء ، ماء، تربة)، ولا تقدر الأنظمة البيئية على استيعابه .

ويكون التغير الكمي بزيادة نسبة بعض المكونات الطبيعية للبيئة، كزيادة ثاني أكسيد الكربون عن نسبته المعتادة نتيجة للحرائق الهائلة المقصودة التي ما تزال تحدث في مناطق الغابات والأعشاب أو زيادة درجة حرارة المياه في منطقة ما من جراء ما تلقيه بعض المصانع من مياه حارة. وقد يكون مثلا بتسريبات مواد معينة كما هو الحال في تسرب النفط إلى مياه البحر، نتيجة لعطب في ناقلات النفط أو الحوادث وخلافه، وينتج التغير الكمي من إضافة مواد تكون سامة أو قائلة حتى في تركيزاتها الطبيعة كالزلبق وأكاسيد الكربون والمواد المشعة .

وينتج التغير الكيفي من إضافة مركبات صناعية غريبة على الأنظمة البيئية الطبيعية، حيث لم يسبق لها أن كانت في دوراتها وسلاسلها، حيث تتراكم في الماء أو الهواء أو الغذاء أو التربة. ويتمثل ذلك في مبيدات الآفات ومبيدات الأعشاب .

ولتفسير معني تغير غير مرغوب في الخواص، نذكر أن الهواء عنصر اساسى من عناصر الحياة لا غنى عنه للإنسان والحيوان والنبات إذ تنفرد الكرة الأرضية دون سائر الكواكب بأنه يحيط بها غلاف جوي تتجسد في التفاعلات الكيماوية بصفة مستمرة مما جعل الكرة الأرضية متميزة بظاهرة الحياة المتعددة الصور على سطحها كما يعتبر الهواء ملوثا إذا حدث تغير في تركيبه، أو إذا اختلط به بعض الشوائب أو الغازات، وبقدر يضر بحياة الكائنات التي تستنشق الهواء وتعيش عليه.

أما العوامل التي تنتج حالة التلوث فتعرف بالملوثات. وذلك مثل العناصر الكيمائية والضوضاء، والإشعاعات .... الخ،

ويشير مصطلح "عدم النقاء " "و عدم النظاقة . و عدم التوازن إلى عوامل أضافها الإنسان إلى البيئة تعمل علي تخريب الوضع الطبيعي. ولم تنشأ هذه العوامل بين يوم وليلة ولكنها بدأت في الظهور منذ أن ابتكر الإنسان الآلة واستخدمها في كل مناحي الحياة. ومن هذا المنطلق يصبح ! التلوث ظاهرة من صنع الإنسان ولكن لا يمكن أن ننكر أن بعض العوامل التي توجد في البيئة يمكن أن تكون بذاتها ملوثات دون أن تصنعها يد الإنسان. فكثير من الملوثات هي مكونات طبيعية في الهواء، ولا دخل ليد الإنسان فيها فالنبات والحيوان والعالم الفيزيقي قد يسبب بعض التلوث بدون تدخل الإنسان والتكنولوجيا الحديثة فيها.

وينبعث من الحيوان ثاني أكسيد الكربون، والنباتات تصدر غاز الميثان أما الإشعاع الأيونانيزي lonising الطبيعي فيوجد أضرارا بيولوجية كبيرة، ويؤدي غبار اللقاح من مختلف النباتات الي انتشار أمراض التنفس .

ويسبب الهواء الملوث أضرارا للحياة البشرية المادية والصحية والنفسية والاجتماعية. كما يسبب أضرارا للحياة الحيوانية والنباتية. وقد يسبب الهواء الملوث تلفا في العمليات

الصناعية، واضطرابا في الظروف المعيشية بوجه عام. كمد قد يحدث إتلافا في التراث والأصول الثقافية ذات القيمة الثمينة مثل المباني والمنشآت الأثرية كالمتاحف، وما تحتويه من أثار قيمة.

هذا ولم يتعرض إنسان عصر ما قبل الثورة الصناعية لمشكلة تلوث الهــواء بالصورة التي نراها اليوم في المدن الصناعية. ذلك أن كل مخلفات نشاطاته كلنت مما تستطيع الدورات الطبيعية للأنظمة البيئية أن نستوعبه في سلسلة تحولاتها. ومع ذلك بدأ الإنسان في تلويث بيئته منذ العصر الحجري .

ولكن بدأت مشكلة التلوث البيئي تظهر بوضوح في المدن في العصور الأخيرة، مع مجيء الثورة الصناعية، وعلي وجه الخصوص في القرن العشرين ساهم التصنيع بنصيب كبير في زيادة نسبة الفضلات والمخلفات في الجو من ناحية، وفي زيادة نسبة الغازات والأبخرة المتصاعدة من ناحية أخري، مما يهدد حياة الإنسان في المدن، وفي جميع " أنحاء العالم، ويسبب له مشاكل صحية فلقد تعددت مصادر الطاقة، وتم التوسع في استخدام الوقود بأنواعه المختلفة مثل التدفئة ومحطات الكهرباء، والمياه، ، واقترن الإنتاج باستخدام الآلات وظهرت أنواع متعددة من الطاقة لإدارتها، ومما لا شك فيه ان الاحتراق يؤدي وجود غازات ضارة بالانسان والحيوان والنبات في المجال الجوي .

وينضح من ذلك أن المنشات الصناعية تدفع الي الهواء كل يوم بكميات هائلة من الرماد والشوائب يبقى أغلبها معلقا في الهواء وتحتوي على كثير من المواد الضارة بالبيئة، مما أدي إلى زيادة حالات المرض والوفاة بشكل ملوحظ هذا وكلما زاد حجم المدن كلما ارتفع معدل التلوث بها. ومن بين المدن التي تئن من تلوث الهواء مدينة مكسيكو سيتي ولندن ونيويورك، وغيرها، وكذلك طوكيو التي أعلن فيها أن زاد عدد المصابين بنزلات شعبية من سكانها يبلغ أربعة أضعاف عددهم في اي مكان آخرفي اليابان. وقد تفاقمت هذه المشكلة الي

الحد الذي جعل رجال شرطة المرور يتوقفون كل نصف ساعة في أوقات الذروة لاستنشاق كميات من الأوكسجين النقي المودع في اسطوانات وضعت عند تقاطع الشوارع.

وتعاني بعض المدن العربية في الوقت الحالي من هذا النوع من التلوث وذلك نتيجة التحضر السريع، وتمركز السكان في مدن مكتظة وكذلك ازدحام المدن بالسيارات وما تفرزه من عوادم وقد أدى ذلك الي ظهور الأمراض الصدرية والنفسية والقلبية، فمدينة القاهرة تحدها من ناحية الشمال ضاحية صناعية كبيرة هي صاحية شبرا الخيمة، والتي أقيم بها نحو ١٠٠٠ مصنع، تنتج أصناف متعددة من المنتجات (منها مصانع النسيج والصباغة والزجاج وبعض الصناعات المعدنية والكيماوية الأخرى) وتحمل الرياح السائدة) وهي رياح شمالية الي شمالية غربية) كثيرا من الشوائب العالقة بغازات هذه المصانع، والتي تتساقط كل يوم فوق مدينة القاهرة.

كما أقيمت في جنوب القاهرة في حلوان منطقة صناعية أخرى فيها نحو ٣٥ صناعة مختلفة مثل صناعة الحديد والصلب، وصناعة الكوك، والكيماويات الأساسية وصناعة السيارات وعربات السكك الحديدية وصناعة الأسمنت وغيرها، و بعد أن كانت حلوان تعتبر من افضل المشافي بمياهها المعدنية والكبريتية اصبحت الآن مدينة صناعية يملأ جوها دخان المصانع، وتتعلق بهوائها الشوائب الضارة .

ويظهر أثر التلوث بوضوح في منطقة طرة جنوب مدينة القاهرة حيث يوجد مصنع للأسمنت ونظرا لعدم وجود الأجهزة التي ترسب الغار المتصاعد من الأفران فقد أصبح الهواء في هذه المنطقة محملا باستمرار بغبار الأسمنت الدقيق كما جفت كثير من الأشجار الموجودة في هذه المنطقة وتساقطت اورقها، وتغطي ما يقي منها بغبار ناعم أبيض مثل الجير .

ومن المعروف أن تلوث الهواء يصيب الإنسان بدرجات متفاوتة تختلف من شخص لآخر، وأكثر الناس تعرضا لمخاطر الدقائق هم العمال في المنشآت الصناعية إذ تدخل هذه

الدقائق إلى رئة الإنسان مما يؤدي إلى التهاب أنسجة الرئة والاصابة بأمراض الحساسية، وفي أحيان أخرى الإصابة بسرطان الرئة .

أما الرصاص فتوجد مهن معينة يتعرض العاملون فيها إليه . وذلك إما في صورة غبار أو أبخرة ومن ذلك عمليات اللحام وصهر الرصاص لتشكيله وصناعة المطاط وعمليات تكرير البترول والعمل في محطات الجازولين.

هذا وإذا ما ارتفعت نسبة الرصاص إلى ٠.٨ جزء في المليون خاصة في الأفراد البالغين، فإن ذلك يكون مصحوبا باضطرابات بالغة منها تكسير الكرات الدموية الحمراء، وقلة نسبة الهيموجلوبين بالدم، وحدوث أنيميا، ومغص كلوي حاد قد يسبقه قيء، واضطرابات عصبية قد تؤدي إلى الصرع والدخول في غيبوبة وقد أثبتت الدراسات البيولوجية المتعددة إن الرصاص يؤدي إلى انخفاض مستوي الذكاء والقدرة على الإدراك ووجد أن الرصاص في الدم يعوق طرد حامض البوليك مما يعرض للإصابة بمرض النقرس. كما أن للرصاص تأثيرا ضارا علي جهاز التناسل.

وفي الأطفال فإن نسبة ٠.٦ جزء في المليون من الرصاص في الدم تؤدي إلى تسمم واضح والموت الحتمي.

وعند تعرض النساء الحوامل لجرعات كبيرة من الرصاص أثناء الحمل فـإن هذا يؤدي بدوره إلى ولادة اطفال ناقصي الوزن ذوي مقدرة محدودة، وقليلة للاستجابة للمؤثرات الصوتية، وقد يعانون من سوء التنسيق بين نشاط الجنين وحركة اليدين.

كما يلعب الهواء الملوث بالمواد الهيدروكربونية دورا في الإصابة بالأمراض السرطانية، والتي تؤدي إلى الوفاة، أما دقائق المواد المشعة، فهي تسبب سرطان الدم، وعجز النخاع العظمي، وتأثيرات وراثية على الخلايا .

ولا يقتصر تأثير الهواء الملوث علي الإنسان بل يمتد تأثيره على النبات ويتمثل ذلك بوضوح في انخفاض الإنتاجية الزراعية للمناطق التي تعاني من زيادة تأثير الملوثات الهوائية.

كما يعتبر عادم السيارات – من أكثر ملوثات البيئة حيث تلعب السيارات والموتوسيكلات دورا هاما في تلويث الهواء داخل المدن فهي تنفث في الجو بحوالي ٦٠% من ملوثات الهواء منها ما هو غير سام مثل الأزون، وثاني أكسيد الفحم وبخار الماء، ومنها السام مثل أول أكسيد الفحم وأكسيد الأزوت، كما تقذف مواد أخرى مثل غاز الكبريت، والرصاص.

وفي وقتنا الحالي تجوب شوارع مدن العالم عدة ملايين من السيارات ووسائل النقل العامة لا ينقطع سيلها ليلا أو نهارا، وتستخدم كميات هائلة من الوقود وذلك ما يجعل المدن الكبرى تعاني من ظاهرة يطلق عليها الضباب الدخاني والذي يبقى معلقا في الجو عدة أيام وهذه الكلمة مشتقة من كلمتين الدخان والضباب.

ومن المدن التي تعاني من الضباب الدخاني مدنية المكسيك (مكسيكو سيتي Mexico city). وتصل نسبة غاز أول أكسيد الكربون في هواء هذه المدينة إلي حدود عالية تزيد كثيرا عن الحد المسموح به، ومن المدن المزدحمة بالسكان والمواصلات مدينه نيويورك، ومدينة سيدني باستراليا.

أما مدينة لوس انجلوس بالولايات المتحدة الأمريكية، فعلى الرغم من أنه لا توجد بها تجمعات أو منشآت صناعية تذكر، ولا تحرق إلا القليل من وقود الفحم أو زيت البترول في منشأتها إلا أنها كانت من أشهر المدن تعرض للضباب الدخاني ويرجع هذا إلى احتراق الوقود في محركات السيارات ووسائل النقل العامة التي تجوب شوارع المدينة المزدحمة بالسيارات

ومليئة بعوادم وسائل المواصلات وربما كانت مدينة القاهرة من أكبر المدن المزدحمة بالسيارات المليئة بالعوادم والغازات والتلوث .

ومن أهم نواتج عادم السيارات غاز أول أكسيد الكربون، والذي يزداد تركيزه في الدم، فيعطل نقل الأوكسجين للأنسجة، مما يسبب الدوار والإغماء فيقل نشاط الجسم وإنتاجه هذا إلى جانب الأضرار الصحية التي قد تصل إلى تسمم الجسم.

ولمواجهة تلوث الهواء قام العلماء والمسئولون في المجتمعات المحلية والمدن وعلى وجه الخصوص في هولنده والدانمارك والمانيا – بالعمل على نقص التلوث فصدرت قوانين تحد منه. ومن ذلك قانون توصيل الأراضى الخضراء الممتدة لمحازاة الأنهار أو القنوات أو خطوط السكك الحديدية القديمة بعضها ببعض لتكون مسارات متصلة لركوب الدراجات والخيل والمشي وهذه الطرق الخضراوية تعتبر منافذ تقرب السكان من الهواء الطلق والطبيعة.

ولمواجهة كارثة التلوث اصدرت المؤسسات العلمية والاجتماعية قوانين وتشريعات تمنع بناء المصانع الكيماوية ومصانع الأسمنت في مناطق قريبة من التجمعات السكانية وإيجاد مناطق لاستيعاب النفايات الصناعية والعمل على استبدال التدفئة التي تعمل بالفحم والبترول بأخرى كهربائية واستغلال الطاقة الشمسية .

وقد ازدادت البحوث العلمية والتكنولوجية لمواجهة مخاطر انبعاث التلوث من السيارات وقامت بعض شركات صناعة السيارات باضاف محولات مساعدة تثبت ضمن اجزاء الشكمان في السيارة لتنقية العادم، .

وقد وضعت السوق الأوربية المشتركة جدولا يتضمن:

١- تحريم استخدام الجازولين المضاف إليه مركبات الرصاص

٢- إلغاء السيارات التي تعمل بمحركات الديزل إلغاء تاما

٣= عدم السماح ببيع السيارات التي لم تزود بالمحولات المساعدة على تنقية غازات العادم .

٤-الكشف الدوري الدقيق علي السيارات عند إجراء التجديد السنوي

أما عن التلوث الماني :

فقد ظهر حول تجمعات المدن في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ، ويعتبر الماء ملوثا بمادة أو أكثر إذا كان غير مناسب للاستعمالات المقصودة منه سواء بالنسبة للإنسان أو الكائنات الحية الأخرى، وسواء استخدم للأغراض الزراعية أو الصناعية أو المنزلية .

وقد أدي نمو الصناعات في المدن، والتي يلقي بمياهها الناتجة عن مختلف الصناعات في المجاري المائية والأنهار إلى زيادة مشكلة التلوث الماني ، كما أن كثيرا من مدن الدول النامية تأخذ مياه الشرب من أنهار يتعرض ماؤها للتلوث نتيجة للصناعة.

وتعد معامل تكرير البترول من مصادر تلوث المياه، حيث تستخدم كميات كبيرة من المياه في التبريد، وكذلك السفن في البحار والبحيرات والأنهارر التي تقذف فيها الزيوت والفضلات.

أما عن التلوث الضوئي :

فيعتبر ظاهرة حضرية حديثة، وهو أحد عناصر البيئة، وصورة من صور التلوث التي يعاني منها سكان الحضر. وقد نتج ذلك عن التقدم الصناعي، وما ارتبط به من توسع فى استخدام المحركات والآلات والمكابس وأفران وأجهزة تبريد وتهوية ومعدات مختلفة من شأنها إحداث ضوضاء بصفة مستمرة وكثيرا ما يعاني الذين يسكنون بالقرب من المطارات أو على امتداد مدارجها من ضجيج الطائرات إقلاعاَ وهبوطاَ .

وقد امتدت الضوضاء إلى داخل المنازل. ويرجع هذا إلى الإنصات المستمر لألوان الموسيقي الصاخبة ، ووجود الأجهزة المنزلية المساعدة لربة المنزل وكلها تقريبا تحدث ضوضاء شديدة في المنزل من مكانس كهربائية ومحضرات للأطعمة وغيرها .

هذا ومن الصعب تعريف الضوضاء بطريقة جامعة مانعة، ومع ذلك يمكن تعريفها بأنها أصوات ليس لها صفات عذبة أو صوت غير مطلوب يترتب عليها ازعاجاً ملحوظا ويؤدي الضوضاء الى تهديد قدرة الإنسان على السمع، خاصة بعد سن الخمسين .

ولكن ألا من حلول لكل تلك السلبيات ؟

إن الأزمة التي تواجهها المناطق الحضرية المزدحمة بسبب الطلبات الملقاة على عاتقها تجعلها في وضع لا تحسد عليه والمؤكد أن الأبعاد الحقيقية لمتطلباتها واضحة ومحددة تمام التحديد، وإن كانت أبعادها المستقبلية ليست بنفس هذا الوضوح ويرجع ذلك في جانب منه إلى معدل النمو السريع في السكان نتيجة الزيادة الطبيعية والزيادة في الهجرة الداخلية.

يترتب على هذا حدوث قصور أساسي في قدرة المدن على الوفاء بالطلبات الملحة وقد يزيد الموقف صعوبة في بعض الحالات ما قد يرتكب من أخطاء سابقة في توفير خدمات البنية الأساسية.

وربما كانت الصعوبة الأساسية في توفير التسهيلات والخدمات اللازمة للمدن الميتروبوليتانية في البلاد النامية أن مناطق السكني تفوق عادة تلك التي يمكن أن تغطيها شبكة المرافق العامة القاصرة: كالمياه والمجاري وشبكة المواصلات المترامية الأطراف ووسائل النقل العام. ومن الأمور البالغة الصعوبة توفير تلك الخدمات والمرافق المعقدة الباهظة التكاليف بالسرعة المناسبة للوفاء بالاحتياجات المطلوبة.

ومن سوء الحظ أن الموارد والإمكانيات المتاحة لمثل تلك المدن الميتروبوليتانية للقضاء على تلك المشكلات محدودة في العادة إلى أبعد حد ، بل إن موارد بعض البلاد التي تعاني من تلك المشكلات تبدو قاصرة بشكل يدعو إلى اليأس ، والواقع أنه مما يزيد مشكلة معظم البلاد النامية –ونحن نموذج لها في هذه الناحية – ويزيدها تعقيدا انخفاض قدرة المواطن العادي على دفع ضرائب تكفي لتمويل احتياجات البلد من الخدمات والمرافق العامة.

ولكن رغم كل ذلك فإن التخطيط الحضري عموما، وتخطيط المدن في مجملها، وتخطيط المناطق الحضرية المتخلفة بالذات أداة من أدوات العلم التي نستطيع من خلالها أن نعدل بشكل جزئي صورة الوضع القائم المتردي و نرسم بواسطته مستقبلا أفضل.

وبؤرة الاهتمام ينبغي أن تكون مشكلة الإسكان، ثم مشكلة إصلاح مرفق التعليم وخاصة الأبنية التعليمية. كما أن إصلاح تشريعات الإسكان يمكن ان يساعد في تحقيق الحل المنشود.

وكما قلنا أن الاعتماد على إصلاح المدن القائمة وحدها أمر مستحيل وخاصة في المدى البعيد، ولذلك يصبح من المحتم الاجتهاد في إنشاء المجتمعات الجديدة المستقلة عن المدن، وليست التابعة لها مجتمعات تكتمل لها أسباب الوجود والبقاء .

وهذا ما حدث بالفعل في جمهورية مصر العربية بعد عام ٢٠١١ إذ انتشرت المدن الجديدة التابعة لكل محافظات الجمهورية وهي مستقلة بذاتها تتكفل الدولة بالبنية التحتية لها لمساعدة الأفراد على التعمير ، كذلك بها معظم الخدمات المطلوبة لمعيشة المجتمعات المحلية وتعتبر تلك المدن طفرة إيجابية للنمو الحضري في مصر .

وعلى جانب آخر فلن ينجح أبناء هذا المجتمع في مواجهة مشكلاتهم الكبرى ومواجهة التحديث الحقيقية أمام حريتهم ووجودهم سوى باقتحام الصحراء لزراعتها وتعميرها ، وهذا ما حدث بالفعل في هذه الآونة ، فهذا السبيل يساهم في حل أكثر من مشكلة ، كمشكلة الغذاء ومشكلة الإسكان ومشكلة البطالة، إذ من الضروري أن يبذل جهد حقيقي لتوفير الحدود الدنيا التي تمس مقومات الوجود الإنساني.

ومن الجدير بالذكر أن هذه التنمية الحضرية لابد أن يكون موازٍ لها التنمية الاخلاقية والفكرية والقيمية داخل المجتمعات حتى تأتي ثمارها بالمطلوب من الرقي بالمجتمعات .

والسلاح الأول في التنمية الأخلاقية هو سلاح الفكر والثقافة ، الفكر بالمستوى العالمي والمضمون المصري، والثقافة التي تستكمل مقومات الإنسان العصري الناضج ومن المعروف أن الطريق الأمثل للنهضة الأخلاقية أو التنمية القيمية المنشودة . هو اللجوء إلى المعين الأول لكل القيم ولكل الأخلاق، وهو الدين ولا يتحقق ذلك الدور إلا بتطوير أساليب الدعوة الدينية، بحيث تقرب الدين من الحياة، وهو في الحقيقة كذلك. وتضع أمام الشباب في كل لحظة من لحظات يومهم تطبيقات التوجيهات الدينية على المواقف المعيشية اليومية، مع إبراز موقف الدين من قضايا الإنسان اليومية، فتركز على المعاملات مثل تركيزها على العبادات.

سادساً :مشكلة العشوائيات :

(المنطقة العشوائية)هي منطقة سكنية غير منظمة بنيت في الغالب بدون ترخيص وقد تفتقر لأبسط مقومات الحياة الكريمة كالماء الصالح للشرب، الكهرباء وغيرها من اساسيات العيش، كما تسمى في مصر» إسكان العشش» والمصطلح الشائع في المغرب هو «السكن غير اللائق» وفي الجزائر» البناء القصديري» أو «الفوضوي» وفي العراق تدعى «حواسم» أو «تجاوز». وفي اليمن "بيوت عشوائية".

ويمكن تعريف السكن العشوائي بأنه نمو مجتمعات وإنشاء مبانٍ ومناطق لاتتماشى مع النسيج العمراني للمجتمعات التي تنمو بداخلها أو حولها ومتعارضة مع الاتجاهات الطبيعية للنمو والامتداد وهي مخالفة للقوانين المنظمة للعمران.

وبالنظر إلى هذة التعريفات نجد أن الإسكان العشوائي يقوم بتخطيطه وتشيده الأهالي أنفُسُهم على الأراضي الزراعية والصحراوية أو أراضي الدولة وغالباً ما تكون هذه الأراضي على أطراف المدينة وهي غير مخططة وغير خاضعة للتنظيم ولايسمح بالبناء عليها.

وهو إسكان عشوائي غير مخطط يقع في أدنى مراتب الإسكان ويقوم على أساس اجتهادات شخصية في التخطيط والتصميم والبناء وهو عبارة عن أكواخ بُنِيت من الخشب أو الصفيح أو الطين وأحياناً باستخدام الأقمشة البالية والكرتون وينتشر هذا النوع في العالم كله ولكنه يتضح جلياً في دول العالم الثالث حيث يأخذ شكل تجمعات متلاصقة من العشش المتراصَّة بجانب بعضها في اتجاه طولي ويلجأ الأفراد لهذا النوع من الإسكان بصفة مؤقتة أو دائمة نتيجة لعدة أسباب منها :

-الحروب الأهلية أو الدولية التي ينتج عنها تدمير لبعض المناطق الآهلة بالسكان.

-الكوارث الطبيعية فالذين تهدمت بيوتهم ولا يجدون لأنفسهم مأوى آخرَ سواء كان ذلك نتيجة حرائق أو قدم المبنى وعدم صلاحيته الإنشائية أو تهدُّم المبنى نتيجة لحدوث بعض الكوارث الطبيعية مثل السيول أو الزلازل أو الأعاصير يلجأون إلى المناطق العشوائية.

-.النازحون من الريف إلى المدينة للبحث عن فرص العمل .

و

ويتَّسِم هذا النوع الهامشي من الإسكان بصغر المساحة الداخلية وذلك لعدم القدرة على تحمل التكاليف اللازمة للتوسع أو لمحدودية المساحة المُبنى عليها حيث يتراوح متوسط المساحة الداخلية للعشة ما بين (٥م إلى ٩م) كما يصعب تقسيمها من الداخل إلى أماكن للنوم والمعيشة وحمام ومطبخ كما هو متعارف عليه في نمط الإسكان العادي نظراً لضيق المساحة وكثرة الشاغلين من عدد أفراد الأسرة الواحدة كما يتَّسم هذا النمط الإسكاني بعدم وجود المرافق العامة وخاصة مياه الشرب النقية أو الصرف الصحي ويستعمل هذا النوع الإسكاني للنوم فقط أو الحماية من الأمطار أما باقي الأنشطة الأخرى فيتم تأديتها في الأماكن الخارجية المفتوحة أو اللجوء إلى المباني العامة أو دور العبادة إن وجدت للحصول على المياه النقية أو لقضاء الحاجة أما الإضاءة فأكثرهم يستخدم مواقد الإضاءة التي تعمل بالكيروسين أو سرقة التيار الكهربائي من أي مصدر متاح لهم. أما محتويات العشة الداخلية فهي في أغلب الأحيان تحتوي على سرير خشبي أو معدني صغير الحجم له عدة استخدامات منها النوم أو الجلوس عليه وهو يتسع لعدد محدود من الأفراد وهو مخصص للأطفال وعلى ذلك يلجأ باقي أفراد الأسرة إلى افتراش الأرض للنوم أو الجلوس وعادةً ما تكون الأرضية هي نفس التربة الطبيعية التي تم البناء عليها بدون تعديل أو تغطيتها بطبقة رقيقة من الإسمنت، أما الأسقف فهي من الأخشاب أو البوص التي يحرص السكان على تغطيتها بالمشمعات للوقاية من الأمطار.

أما عن الخصوصية في هذه المناطق فهي تقريبا منعدمة نظراً لارتفاع معدل التزاحم داخل الوحدة والتلاصق الشديد بين الوحدات لدرجة أن بعضها تحيط به العشش من ثلاثة جهات. الأمر الذي يجعل كل ما يدور داخل إحدى العشش مشاعاً لدى العشش المجاورة. والمسائلة لاتحتاج تطفلاً بين السكان فالفواصل الخشبية أو المصنوعة من الكرتون تسمح بنقل الصوت إلى العشش المجاورة ومع وجود فتحات أو ثقوب بين هذة الفواصل يجعل الرؤية أمراً ميسرا.

وتعود مشكلة ظهور الإسكان العشوائي إلى بدايات القرن العشرين وذلك تواكباً مع التوسع العمراني السريع للمدن وإعادة التعمير بعد الحرب العالمية الثانية، ومع تمركز الخدمات والمصالح الحكومية في المدن الرئيسية وظهور العديد من الصناعات الحديثة أدى ذلك إلى زيادة الهجرة الداخلية للأفراد والنزوح من الريف إلى المدن سعياً وراء الحصول على فرص العمل ، ومع سعي هؤلاء النازحين من الريف إلى المدن للحصول على مسكن ملائم حسب مواردهم الضئيلة داخل الكتلة السكنية للمدن؛ فقد لجئوا إلى أطراف المدينة حيث الأراضي الزراعية أو الصحراوية فأقاموا تجمعات عشوائية بتكاليف أقل ولكن دون أي خدمات وذلك بعد .أن عجزت مواردهم عن تدبير تكاليف السكن داخل الكتلة السكنية الرسمية للمدينة

ولم تتنبه أجهزة هذه الدول إلى خطورة المشكلة في حينها ولم يتم اتخاذ أي إجراء لمواجهتها في البداية وترك الإسكان العشوائي ينمو وينتشر داخل الكتلة السكنية القائمة وعلى أطراف المدن.

وقد كانت هناك بعض العوامل القوية التي ساعدت على نمو وانتشار الإسكان العشوائي يمكن أن نلخصها فيما يلي:

1. **زيادة معدلات النمو السكاني.**
2. **النقص في عدد الوحدات السكنية وزيادة الطلب عليها نتيجة الهجرة السريعة من الريف إلى المدينة.**
3. **أصبحت المدن الرئيسية شديدة الجذب نتيجة تمركز الخدمات وفي المقابل أصبحت المدن الريفية شديدة الطرد نتيجة ندرة الخدمات والإمكانيات بها.**

٤. ارتفاع أسعار الأراضي والشقق السكنية في المناطق الرسمية والتي تتمتع بالمرافق العامة (مياه نقية – صرف صحي – كهرباء – شوارع مناسبة).
٥. ضعف الاستثمارات الحكومية والقطاع الخاص في مجال الإسكان المنخفض التكاليف.
٦. التهاون مع منتهكي القوانين ومغتصبي الأراضي من قبل الجهات الرسمية نتيجة لعدم توافر بدائل أخرى مناسبة، فأصبحت هذة المناطق تفرض أمراً واقعاً وشكلت جماعات ضغط أجبرت الحكومات على مد المرافق إليها.

٧-زيادة القيمة الإيجارية للمعروض من الإسكان

وترجح الدراسات نمو العشوائيات أساسا إلى عدم تنفيذ القوانين الخاصة بالمباني وكذلك حماية الأراضي المملوكة للدولة في مقابل تقاعس الأجهزة الحكومية المعنية عن التنفيذ، وكذلك ضعف الاهتمام بالتنمية الإقليمية والتي تهدف إلى إعادة توزيع سكان البلاد والخروج من الوادي الضيق إلى مجتمعات جديدة تستقطب تيارات الهجرة، والأهم من ذلك خلل سوق الإسكان وانخفاض المعروض من الوحدات السكنية وعدم ملائمة العرض مع نوعية الطلب.

ومن خلال ما تقدم يمكن استنتاج بعض الحلول العملية للحد من انتشار ظاهرة الإسكان العشوائي ومنها :

- طرح أراضٍ مخططة ومخصصة للبناء تتناسب مع احتياجات الأسرة الحالية والمستقبلية وبأسعار مناسبة ومزودة بالمرافق العامة الأساسية.
- توفير نماذج تصميمية معمارية تراعي العادات والتقاليد الشعبية لهذه المناطق والالتزام بتنفيذها وذلك للحد من الاجتهادات الشخصية.
- إحكام الرقابة على حدود المدن والأراضي التابعة للدولة وتجريم البناء عليها.
- إصدار قوانين وتشريعات بنائية حاكمة تتلافى الثغرات الموجودة في القوانين الحالية.

كل ذلك من أجل الحفاظ على جمال الهوية العمرانية للنسيج العمراني للمدن والحفاظ على هيئتها وثقافتها وتاريخها الذي يميّزها عن بقية المدن بالإضافة إلى تحقيق توازن للحياة الاجتماعية التي هي نتاج قيم إنسانية متوارثة وأن توضع تشريعات بنائية تحترم ظروف

المجتمع وتاريخه واحتياجاته الحالية والمستقبلية وصيانتها وهي التي تختلف من مكان إلى آخر في جميع مدن العالم .

أما عن الخدمات الاجتماعية داخل العشوائيات : مثل المنشآت الصحية والتعليمية وأقسام الشرطة وغيرها فلا وجود لها تقريبا، ويغلب على هذه المناطق الطابع الريفي ويظهر ذلك في العادات والسلوكيات السائدة بين السكان مثل تربية الطيور والمواشي داخل المنازل أو على أسطحها وجلوس السيدات للتسامر على أبواب المنازل أو القيام ببعض الأعمال المنزلية مثل الطهو أو الغسيل.

ومن خلال استعراض الملامح العامة للبيئة العمرانية للإسكان العشوائي نلاحظ أنه يؤثر تأثيراً سلبياً على المجتمع وحياة الأسر القاطنة فيه بشكل مباشر.

حيث إن هذه المباني تفتقر إلى التهوية الصحيحة نظراً لأن المبنى الواحد تحيط به المباني من ثلاثة جهات مما يجعل مسألة دخول أشعة الشمس والتهوية الطبيعية أمراً في غاية الصعوبة. كما يؤثر هذا النسيج العمراني على أخلاقيات الأفراد ونفسياتهم وطبائعهم، وقد أثبت الباحثون أن الفراغات العمرانية وتشكيلاتها وأبعادها وأسلوب توظيفها يؤثر بشكل واضح ومباشر على نشاط وسلوك السكان وكذلك في العلاقات الاجتماعية بينهم.

ومن ناحية أخرى نجد العلاقة وطيدة بين وجود العشوائيات وزيادة نسبة الاصابة بالامراض حيث تعتبر بيئة صالحة لانتقال العدوى نظراً لتوافر عدة أسباب منها :

- ارتفاع معدلات التزاحم داخل العشة وخارجها مما يسهل عملية انتقال العدوى.
- عدم توافر مصادر المياه النقية والصرف الصحي للمخلفات.
- عدم الاهتمام بالنظافة العامة للمنطقة نتيجة إهمال المسؤلين لهذه المناطق واعتبارها مناطق إسكان غير رسمية.

ويعتبر سوء التغذية سمة عامة لهذا النمط الإسكاني نظراً لضعف الدخل الأسري حيث يعمل هؤلاء السكان في أعمال متدنية ذات دخول بسيطة جداً وغير ثابتة فهي لا تكفي لسد حاجات الأسرة الأساسية فيتجه كل الدخل لشراء الوجبات الرخيصة لسد جوع الأطفال الذين يكثر

عددهم داخل الأسرة الواحدة. ومن الأمراض البدنية التي أصبحت متوطنة نتيجة سوء التغذية وتأثير البيئة المحيطة وهي :-

- الأمراض الصدرية كالالتهاب الدائم للشعب الهوائية –
- السل نتيجة عدم وجود التهوية المناسبة-
- الأمراض الباطنية كالملاريا والإسهال والديدان المعوية نتيجة سوء التغذية واستخدام المياه الملوثة . بالاضافة إلى الامراض النفسية.
- نتيجة لوجود ثقافة الفقر وعدم القدرة على مجاراة العالم الخارجي في الإمكانيات ومستوى المعيشة فيتولد لدى هؤلاء الشعور بالعدوانية وخلق شخصية غير سوية لديها إحساس باتهام هذا العالم الخارجي بأنه سبب لما هم فيه . فيتولد لدى هؤلاء الإحساس بالغربة الاجتماعية، الأمر الذي يتحول بعد ذلك إلى الاستعداد الكامل لاستخدام العنف ضد المجتمع الخارجي ومع الميل الشديد للانحراف نتيجة الظروف الحياتية وعدم وجود توعية أجتماعية أو دينية..

وعلى جانب آخر تسجل هذه المناطق معدلات إنجاب ووفيات مرتفعة نظراً لسوء الرعاية الصحية أو انعدامها في كثير من المناطق ولجوء الأهالي إلى الوصفات الشعبية للعلاج كنوع من أنواع الطب البديل. حيث لا يستطيع معظمهم تحمل تكاليف العلاج في المستشفيات أو العيادات ولا ينحصر ارتفاع معدلات الوفيات نتيجة إلى نقص الرعاية الصحية أو سوء وتدني مستوى المعيشة فقط ، وإنما يُضاف إليه عنصر آخر وهو كثرة المشاحنات البدنية واستخدام الآلات الحادة وهو الأمر الذي يترتب عليه قتل أحدهم ودخول السجن للطرف الأخر ويرجع ذلك إلى الجو النفسي المشحون الذي تتسم به هذه المناطق.

الفصل الخامس

الفروق الريفية الحضرية

محكات التمييز بين الحضر والريف :

كشفت الإسهامات العلمية لبعض العلماء في مجال الدراسات الحضرية عن أنماط الحياة الحضرية والريفية والفروق القائمة بين تلك الأنماط في ضوء المفارقة بين طريقة الحياة الحضرية ، وطريقة الحياة الريفية . بالإضافة إلى حجم السكان وطبيعة التنظيم الإجتماعي والنشاط المهنى والتمايز الاجتماعي، والحراك الاجتماعي، والهجرة وأنساق التفاعل وغيرها من السمات والخصائص .

ورغم اختلاف العلماء من حيث التأكيد على هذه السمات أو بعضها إلا أن هناك تأكيد واضح على وجود محكات محددة يمكن الإستناد إليها فى التمييز بين نمط الحياة الحضرية ونمط الحياة الريفية . والواقع أن الربط بين الحياة الحضرية والحياة الريفية في دراسة التحضر وطريقة الحياة الحضرية "لويس ويرث" له ما يبرره منطقياً . وذلك لأن وضوح نمط الحياة الريفية يساعد في تعقب التغيرات التى طرأت على طريقة الحياة الريفية في إتجاه التحضر وظهور المدن، وبالتالي يمكن الكشف عن أنماط الحياة الحضرية والفروق القائمة بينها وبين أنماط الحياة الريفية .

وقد كشفت الدراسات الحضرية لكل من بيترم سروكن وزيمرمان ورد فيلد وفيرث عن بعض الجوانب المتعلقة بالبعد الحضري والريفي .

فرغم الاهتمام المبكر من قبل الفلاسفة بطبيعة الفروق بين المدينة والقرية، إلا أن الإسهامات الفعلية التي ساعدت على كشف التناقض بين القرية والمدينة لم تظهر إلا فى عهد المفكر العربي عبد الرحمن بن خلدون في القرن الرابع عشر. حيث إهتم في الباب الثاني في المقدمة بالتمييز بين البدو والحضر ، وفى أعمال " جيوفاني بيترو " .

وبظهور علم الاجتماع كنظام علمي إهتم علماء الاجتماع بالكشف عن أوجه التناقض والاختلاف بين الريف والحضر. وإذا كان أنصار النظرية السياسية قد كشفوا عن ثنائية بين

المجتمعات تقوم على أساس وجود مجتمع متمدن فى مقابل المجتمع غيير المتمدن، أو المجتمع البدائي ، على أساس التعاقد بين الشعب والحكومة ممثلة في شخص الحاكم . فإن هذه الثنائية تقوم على أساس المكانة في مجتمع . والتعاقد في مجتمع آخر عند " مين" Maine وهو في ذلك كان متأثراً بثنائية أنصار النظرية السياسية إلى حد كبير .

ثم أسفرت جهود عالم الإجتماع الفرنسي " إميل دور كايم" عن ثنالية تقوم على أساس التفاعل بين مجتمع متجانس يتسم بالتضامن العضوى ومجتمع غير متجانس يقوم على التضامن الآلى .

أما ثنائية عالم الاجتماع الالماني " فردناند تونيز" فإنها تقوم على أساس شيوع العلاقات الأولية في مجتمع يقابله شيوع علاقات التعاقد في المجتمع الآخر.

أما ثنائية هوارد بيكر فإنها تقوم على أساس وجود مجتمع مقدس يقابله مجتمع علماني.

ولا شك أن هذه الثنائية تكشف بوضوح عن الاهتمام الواضح بين علماء الاجتماع بتحديد الفروق القائمة بين الحضر والريف ، ورغم أن علماء الاجتماع والأنثروبولوجيا المحدثين قد أهملوا هذه الثنائية في التمييز بين الحضر والريف إلا أنهم لم يهملوا الفروق القائمة بين المدينة والقرية أى بين الريف والحضر. وإنما سعوا لتحديد خصائص معينة على متصل يقع في طرفه المجتمع المحلى الريفى وفى طرفه الثاني يقع المجتمع المحلى الحضرى .

فتالكوت بارسونز " وضع متغيرات النمط الخمس التي تتضمن خمس خصائص تقليدية فى مقابل خمس خصائص مستحدثة حيث تمثل الوجدانية ،والمصلحة الجمعية ،والعمومية ،والنوعية ، والانتشار ، الخصائص التقليدية والتي تقابلها الخصائص المستحدثة المتمثلة فى الحياد الوجداني ، والمصلحة الذاتية ، الخصوصية ، الأداء والتخصص ، وعلى أساس توفر أي من الخصائص بالنسبة للنموذج يتحدد مستوى التغير على متصل التمييز بين الحضر والريف .

وتأتي إسهامات " رد فيلد " في التمييز بين الحضر والريف لتكشف لنا عن ثنائية تحكمها متغيرات أساسية ، حيث صنف المجتمعات الي مجتمعات شعبية ومجتمعات حضرية ، وحصر المتغيرات الأساسية التي تكشف عن التغير من المجتمع الشعبي الى المجتمع الحضري في إزدياد في سوء التنظيم الثقافى ، وازدياد العلمانية وازدياد الفردية .

وبذلك حاول ردفيلد" أن يقيم متصلاً أو ميزاناً يأتي في طرفه نمط المجتمع الشعبي الذى تتوفر له الخصائص الأساسية المتمثلة في صغر الحجم والانعزال والأمية والتجانس والشعور بالتضامن الجماعي ، وفى الطرف الآخر يأتي المجتمع الحضري المقابل للمجتمع الشعبي والذي يتسم بازدياد سوء التنظيم الثقافي Cultural Desorganization و ازدياد العلمانية Seclarization وازدياد الفردية Individualization .

وبذلك تقع على المتصل المجتمعات التي درسها " ردفيلد " في المكسيك والتي تمثلت في قرية صغيرة الحجم وتتصف بالثقافة الشعبية ومجتمع قروى صغير ومركز حضري صغير ومدينة كبيرة هي مدينة " ميريدا " وجميعها تقع في نقاط معينة على المتصل في ضوء درجة تجانسها التي تتوفر في المجتمع الشعبي، ودرجة عدم التجانس التي تتوفر في المجتمع الحضري وهو في ذلك متأثر إلى حد كبير بتصنيف " إميل دور كايم.

وقد كانت جهود لويس فيرث" واضحة في مجال علم الاجتماع الحضري عندما اهتم بالتمييز بين المدينة والقرية على أساس التغير في أسلوب الحياة ولذلك جاء تعريفه للمدينة مستندا للعناصر الحضرية التي تميزها ، حيث تكون المدن كبيرة شديدة الكثافة السكانية

ومتسمة بعدم التجانس والفردية وظهور النظام العلماني وإنهيار النسيج الأخلاقى المصاحب لنمو المدينة ، وسيادة العلاقات الجماعية الثانوية، وسيادة الضوابط الاجتماعية الرسمية. وعليه فقد أكد فيرت " على متغيرات أساسية في تعريفه للمدينة تتمثل في كبر الحجم ، الكثافة العالية للسكان وعدم التجانس.

وبذلك فإن مثل تلك المتغيرات تحدد في نظره خصائص الحياة الحضرية.

وقد وضع كل من سروكن و زيمرمان مجموعة من الأسس للتمييز بين الحضر والريف تمثلت في :

- **الفروق المهنية**
- **الفروق البيئية .**
- **كثافة السكان .**
- **حجم المجتمع**
- **تجانس السكان أو تباينهم من حيث الخصائص النفسية والاجتماعية واللغة وأنماط السلوك والمعتقدات .**
- **شدة الحراك الاجتماعي .**
- **اتجاه الهجرة .**
- **شكل التمايز الاجتماعي .**
- **أنساق التفاعل .**
-

وقد تأثر بهذا التصنيف كل من " سميث " و " لومز " في مجال التمييز بين الحضر والريف. ورغم ما قدماه من إسهام رائد في مجال التمييز بين الحضر والريف، حيث

أكدا بشكل واضح على بعض الخصائص الاجتماعية مثل التجانس والتباين والتفاعل بجانب حجم المجتمع وطبيعته ، إلا أنهما لم يقدما متغيرات محددة وواضحة بحيث يمكننا استخدامها في التمييز بين الحضر والريف، وذلك ما دفع البعض لتقديم تحديد لبعض المتغيرات التي يمكن الاستناد إليها في التمييز على نحو ما هو حادث عند كل من بارسونز ورد فيلد وفيرث . وإن كان قد ظهر الاتجاه بين البعض للتاكيد على متغير واحد في التمييز بين الحضر والريف وذلك على نحو ما ذهب ستيوارد الذي اتخذ من المهنة أساساً وحيداً للتصنيف والتمييز بين الحضر والريف. وكذلك تأكيد " ويتفوجل " على أهمية استخدام القوة والسلطة كأساس للتصنيف والتمييز بين الحضر والريف إلا أن " جيدون سجوبرج قد أكد على أهمية اتخاذ حجم المجتمع بإعتباره محكاً أساسيا يشيع استخدامه بصورة عامة فى التمييز بين الحضر والريف. ولهذا نجد مكتب الاحصاء في الولايات المتحدة الأمريكية في تعريفه للمدينة وتحديده لمحكات تحديد مناطق المتروبوليتان (المدينة الكبيرة) يستند الى حجم السكان في تحديده لشكل المدينة الرئيسية . ثم يؤكد على الخصائص الاجتماعية والاقتصادية التي تتسم بها مدن المتروبوليتان .

وفى ضوء ذلك استند مكتب الإحصاء للمحكات التالية في تحديد المدينة

1 - محك السكان : حيث أعتبر هذا المحك أساسيا في التمييز بين المدينة الحضرية وغيرها من المدن شبه الحضرية . لذلك أقر المعيار الإحصائي للمناطق الحضرية) مدن العاصمة) على أساس :

أ - أنها تضم أكثر من ٥٠٠٠٠ ساكن

ب - وأنها تقوم لأغراض اقتصادية واغراض إجتماعية عامة وبذلك فإنها تضم مجتمعاً محلياً يتكون من سكان يبلغ عددهم ٥٠٠٠٠ نسمة على الأقل بحيث لاتكون أصغر وحدة فيها أقل من ١٥،٠٠٠ نسمة وإذا ما أصبحت أحدهما أو كلاهما معاً ٥٠٠٠٠ نسمة أو أكثر وكانت

المدن في قطاع واحد فإنها تشكل مجتمع المدينة الكبيرة ، مع ملاحظة أن تلك الأرقام كانت تصدق على المدن وقت إقرار تلك المعايير الإحصائية منذ عشرات السنين ولكنها لا تصدق في الوقت الحالي حيث الزيادة السكانية الكبيرة في المدن ، وهي لا تصدق كذلك على المدن فى العالم النامي

٢- محك خاصية المتروبوليتان: يشير محك خاصية المتروبوليتان الى أن المدينة ترتبط مبدئياً بكونها مكاناً للعمل أو سكن العمال غير الزراعيين . على أن تكون نسبة ٧٥% منهم على الأقل من قوى العمل غير الزراعية.

وإذا كان هذا هو الحال في أمريكا فإن الوضع في إنجلترا يشير الى وجود المدينة الكبيرة (العاصمة) ، والمدينة الصغيرة غير العاصمة . حيث تكون المدينة العاصمة المدينة الكبرى أكثر أهمية إداريا من المدن الأخرى. وبإستخدام متغير الكثافة فى التمييز تكون كثافة السكان عالية بالمدينة المتروبوليتانية المدينة العاصمة .

٣- محك التكامل : ويشير الى الإمتداد الاقتصادي والإتصال الاجتماعي التي بين المنطقة المركزية والمناطق المتطرفة.

٤ - المتغير المتعلق بشهرة المدينة وإسمها ، وهو يشير إلى أن المدن الكبرى تحمل أسم الدولة أو المنطقة . وذلك ما يميزها عن غيرها من المدن وبذلك نجد أن مكاتب الإحصاء رغم أنها تتخذ من المحكات التي وضعها العلماء أساساً للتمييز بين المدن والقرى، إلا أنها تسعى لأن تحدد محكات التمييز تحديداً إجرائيا يتسق وطبيعة المدن والظروف الواقعية، وذلك ما جعل مكتب الإحصاء بالولايات المتحدة ينوع محكاته ويبرز بعض المحكات التي تقتضيها ظروف البيئة الفعلية..

خصائص طريقة الحياة الريفية :

تتسم طريقة الحياة الريفية بخصائص وصفات مغايرة الى حد كبير لخصائص وسمات طريقة الحياة الحضرية . ومن ثم نعرض لتلك الخصائص لكي نزيد تحديدا للفروق بين طريقة الحياة الحضرية والريفية وضوحاً وذلك لأن تحديد طابع الحياة الريفية، وأسلوب الحياة في المجتمعات المحلية الريفية لايقل أهمية من تحديدنا لأسلوب الحياة الحضرية، وذلك لأنهما يساعدان في الكشف عن خصائص كل منهما ، وأبعاد الفروق القائمة فيما بين الحضر والريف.

ومن أهم خصائص طريقة الحياة الريفية تلك الخصائص التي تكشف عن طبيعة الحياة التقليدية في المجتمع المحلى الريفي ، والتي تتمثل فيما يلي:

أ- الأهمية الواضحة للجماعات الأولية primary Groups

حيث يعتمد الضبط في المجتمع الريفى على الجماعات الأولية. وذلك لأن الأسرة والجيرة ما هي إلا جماعات لها فاعلية كبيرة على الريفيين. وهذا يرجع الى أن للأسرة وضع خاص بالنسبة لأعضائها ، كما أن الناس يعرفون بعضهم . ولهذا يكون للجيرة دور فعال وكبير ويتمثل في ممارسة الضبط على سلوك الريفيين. ولهذا يكون للجماعة الأولية وسائلها في ممارسة الضبط على سلوك الناس ومن تلك الوسائل المكافأة والتأنيب، وبذلك يكون هناك إهتمام واضح بإرادة الجماعات الأولية ووجودها وعضويتها.

ب - التفاعل أكثر ثباتاً ودفئا في المجتمع المحلى الريفي .

ج - الإرتباط بالجماعة على أساس البيئة المحلية:

وذلك لأن البيئة الريفية المحلية وما تتسم به من تفاعل مباشر وعلاقات الوجه للوجه إضافة الى الروابط التي تحكم علاقات الناس على أساس الإنتماء للجماعات الأولية، تجعل ارتباط الناس لا يقوم على المصالح كما هو الحال بالنسبة للمدينة .

د- التجانس Homogeneous :

تسود حياة الريف سمة التجانس بين الناس أكثر منها في المدينة وذلك لأنه في المجتمعات المحلية الريفية لا توجد إختلافات كبيرة بين السكان من الداخل ، أو الطبقة الإجتماعية أو الخلفية الأيدولوجية التي يتسم بها سكان الحضر.

هـ - حراك اجتماعي محدد :

إن الحراك الإجتماعي الذي يوجد في الريف محدود بالقياس للحرك الإجتماعي الموجود في المدينة، وذلك ينطيق على أشكال الحراك الاجتماعي الثلاثة المتمثلة في :

- الحراك الأفقي oriental Mobility أي الإنتقال من مهنة لمهنة أخرى
- الحراك الجغرفي Geographic Mobility الإنتقال من مكان الى مكان آخر وغالبا ما يكون هجرة من الريف إلى المدينة أو هجرة ارتدادية .
- الحراك الرأسVertical Mobility التسلسل في سلم الترقي بمعنى الإرتفاع من مرتبة لأخرى أو وضع طبقى لوضع آخر ، وذلك لأن طريقة الحياة فى الريف تفرض على الناس ميلا واضحا لأن يظلوا في نفس مهنتهم، وأن يظلوا فى نفس بينتهم المحلية لارتباطهم الشديد بالأرض ، وأن يبقوا كذلك في نفس وضعهم الطبقي.

و- التأكيد على الأسرة كوحدة اقتصادية للإنتاج:

إذ أن الأسرة هى الوحدة الأساسية التي تقوم بالإنتاج الزراعي في المجتمع المحلى الريفي، وهذا على عكس طريقة الحياة في المدينة والتي تتقلص فيها الوظيفة الإنتاجية للأسرة بشكل ملموس نظراً لقيام مؤسسات أخرى بهذه الوظيفة.

ل - إنتشار الأسرة الكبيرة الممتدة :

وهي الأسرة التي تضم جيل الأجداد والآباء والأبناء في حين أن الأسرة الزواجية التي تقوم على الزوج والزوجة والأبناء تمثل نمط الأسرة في المدينة الى حد كبير، وذلك ما تقتضيه طريقة الحياة في أي من المجتمعات الحضرية والريفية إذ أن العمل في الزراعة عمل جماعي يتعاون فيه جميع أفراد الأسرة في حين أن طبيعة الأعمال في المدينة مغايرة تماماً لطبيعة الاعمال في الريف ، لأن الأعمال مجزأة فى وظائف محددة ومتخصصة.

ح- الزواج المبكر وإرتفاع معدل المواليد .

يميل الريفيون للزواج المبكر سواء للبنت أو الولد وإن كان الميل أكثر لزواج البنت في سن مبكرة. وذلك لإعتقاد الريفيون بأن مصير البنت هو الزواج، والنظر الى زواج البنت على أنه سترة لها فى الوقت الذي تقل فيه فرص زواج البنت إذا تجاوزت الثامنة عشر من العمر تقريبا. ولذلك فإن الزواج المبكر يلعب دوراً واضحاً في ارتفاع معدل المواليد بالإضافة إلى رغبة الأسر الريفية فى كثرة الخلفة وذلك لإعتبارات تتعلق بعزوة العائلة بكثرة أبنائها .

ط- وضوح الخصائص السيكولوجية التي تعكسها اتجاهات الريفيين والتي تتمثل في :

- المحافظة .

- القدرية

-التهيب من الغرباء

- الميل للحديث عن سكان المدن

- الاقتصاد وعدم الاسراف

وهذه السمات السيكولوجية تسم الشخصية الريفية وتشكل اتجاهاتها وتحدد استجاباتها السلوكية في المواقف الاجتماعية المختلفة .

خصائص طريقة الحياة الحضرية في مقابل خصائص طريقة الحياة الريفية .

رغم أن كل خاصية مستحدثة تميز الحياة الحضرية يقابلها خاصية تقليدية تسم طريقة الحياة الريفية، إلا أن ظروف المجتمعات المحلية الانتقالية سواء كانت مجتمعات محلية شبه حضرية أو مجتمعات حضرية متريفة قد يتوفر بها بعض السمات المستحدثة بجانب بعض السمات التقليدية ، وذلك ما يجعل المقابلة بين الخصائص المستحدثة والتقليدية مسألة صعبة . لأن نشاط وفاعلية أى من الخصائص هو الذي يكشف عن طبيعة طريقة الحياة السائدة في النماذج المحلية الانتقالية .

وذلك ما جعل عالم الاجتماع " تالكوت بارسونز وعالم الأنثروبولوجيا روبرت رد فيلد يتناولا الخصائص المستحدثة والتقليدية على متصل تحدد درجاته بمدى فاعلية ونشاط أي من تلك الخصائص على نحو ما أشرنا سلفاً ، إضافة إلى إتجاه البعض للتأكيد على الثنائية فى التمييز بين الحضر والريف .

والجدول التالي يلخص خصائص طريقة الحياة الحضرية في مقابل خصائص طريقة الحياة الريفية.

خصائص طريقة الحياة الحضرية	خصائص طريقة الحياة الريفية
-التأكيد علي الجماعات الثانوية	- التأكيد علي الجماعات الأولية
- الإبهام للفرد	- المعرفة الشخصية للفرد
- عدم التجانس	- التجانس
- إرتفاع معدل الحراك الاجتماعي	-إنخفاض معدل الحرارك الاجتماعي
- التخصص وتقسيم العمل	-تخصص وتقسيم للعمل المحدود
- الارتباط علي اساس المصالح	- الارتباط علي أساس المحلية
- توفر السلع والخدمات والتسهيلات	- عدم توفر السلع والخدمات والتسهيلات
- التفاعل الرسمي والعلاقات الفاترة	-تفاعل غير رسمي وعلاقات دافئة
- إختفاء معالم البيئة الطبيعية	-وضوح معالم البيئة الطبيعية
- الأسرة الزواجية	-الأسرة الأبوية الممتدة
- الوظيفة الإنتاجية للمؤسسات وليست للأسرة	-التأكيد علي الدور الانتاجي للأسرة

-سيادة الضوابط الاجتماعية الرسمية	
-تأخر سن الزواج وإنخفاض معدل المواليد	-وضوع الضوابط الاجتماعية غير الرسمية
-الشخصية لغير حافظة	-الزواج المبكر وارتفاع معدل المواليد
	-إتسام الشخصية بالمحافظة
-العلمانية	-القدرية
-النزعة الفردية	-الجماعية
-الإسراف	-الاقتصاد وعدم الإسراف
-ضعف الشعور بالإنتماء للروابط الاجتماعية	-الشعور القوي بالإنتماء للروبط الاجتماعية التقليدية مثل الأسرة

وتحديدنا لهذه الخصائص قائم على أساس ثنائية التمييز بين الحضر والريف .

وإذا ما أردنا أن نحدد خصائص المجتمعات الانتقالية فى المجتمعات المحلية شبه الحضرية أو المجتمعات الحضرية المتريفة . فإن ذلك يقتضي إقامة متصل توضع طريقة الحياة الريفية في أحد طرفيه ، وطريقة الحياة الحضرية في طرفه الثاني . ثم يتم تحديد طابع الحياة في النماذج الانتقالية على المتصل في ضوء التداخل القائم بين خصائص النموذجين الحضري والريفي .

أنماط المجتمعات المحلية الحضرية والريفية :

تخضع معالجة الأنماط المحلية الحضرية والريفية لعدة اعتبارات تحكم عملية التصنيف ، وهذه الاعتبارات تتمثل في طبيعة البناء الاجتماعي والثقافي للمجتمع ، وذلك لأن لكل مجتمع أوضاعه الاجتماعية والثقافية والاقتصادية التي تحدد شكل كل من النمط الحضري والنمط الريفي.

إضافة إلى ذلك فإن هناك اعتبار يتعلق بمستوى التقدم الذي حققه المجتمع ، وهذا لأن المجتمعات المتقدمة تكون المدن فيها كبيرة الحجم وذات تحضر عال في حين أن الدول النامية ماتزال معظم مدنها صغيرة الحجم .

إضافة إلى وضوح الفروق بين الريف والحضر في الدول النامية . في حين أن التقارب بين الحضر والريف واضح في الدول المتقدمة. هذا بالإضافة الى ان النمط الزراعي السائد في الدول المتقدمة يسوده نظام المزارع . والتي قد يكون أصحابها من المقيمين بالمدن . في حين أن النمط الغالب في الدول النامية هو استقرار المزارعين فى قراهم بجوار أرضهم وزراعتهم. وبذلك يكون تحديد نمط المجتمع المحلى سواء كان نمطاً حضرياً أم ريفياً مستنداً أساساً إلى ظروف المجتمع ومستوى تقدمه . إلا أن ذلك لا ينفي وجود أنماط عامة للمجتمع المحلى الحضرى والمجتمع المحلى الريفي ، وهي التي تسعى لتحليل الملامح العامة لكل منها.

١ – المجتمعات المحلية الحضرية : Urban Community

يمكن تصنيف المجتمعات المحلية الحضرية طبقاً لوظائفها الاقتصادية الأولية، حيث نجد أن هناك المدن الصناعية والتي لاحظ البعض أن من بينها المدن المنتجة للحديد والنحاس والسيارات وهي مشهورة بمنتجاتها .

كما توجد أيضاً المدن الحاكمة وهى مدن العواصم . وأيضاً مدن الموانئ ، والمدن الدينية والمدن السياسية . وفى ذلك حدد " مارسيل إيرويساي " M Aurousseau. خمسة أنماط أساسية للمدينة حسب وظيفتها، مثل:

المدن الإدارية، ومدن الدفاع ، والمراكز الثقافية ، ومراكز الإنتاج ومراكز الترويج .

وبالإضافة لتصنيف المدن حسب وظيفتها هناك تصنيف آخر حسب مستوى الحضرية لكل منها . مثال ذلك :

المدن الكبيرة " Metroopolis والتي تعد بمثابة مجتمع محلى حضرى ، حيث توجد فى هذه المدن الكبرى مراكز أساسية لكل منها وظيفتها الأساسية وعليه فهى تتضمن مجتمعات محلية بداخلها.

كما توجد المدن الصغيرة التي لا تتضمن المجتمعات المحلية بداخلها وإن كان الطابع الغالب عليها بصورة عامة هو الطابع الحضري .

وتوجد أيضاً المجتمعات المحلية شبه الحضرية والتي يمكن في ضوء اعتبارات معينة التمييز بين الحضر والريف على أساس الخصائص التي تميزها عن المجتمعات المحلية الحضرية من ناحية، وعن المجتمعات المحلية الريفية من ناحية أخرى . بمعنى أنها ليست بالمجتمع الحضري وليست بالمجتمع الريفي ولكنها تقع في وضع وسط بين الاثنين بمعنى أنها شبه حضرية أو نصف حضرية وبها بعض مظاهر التريف (الحياة الريفية) وهي التي تسمى بالمدن المتريفة ، والتي مازالت للخصائص الريفية وجود نسبى بها الى حد ما بجانب الخصائص الحضرية ، والتي توجد بدورها وجوداً نسبياً وليس كلياً ، وإن كانت في ضوء التصنيف الإحصائي تدخل في عداد المدن الحضرية أو يطلق عليها اسم المدن الحضرية .

والواقع أن ثمة جيرة موجودة فى نطاق المدن إلا أنها لا تقوم على العلاقات الأولية المعتادة فى الريف، وذلك لأن الجماعات الأولية ضعيفة بشكل واضح في المدن الحضرية .

وتندرج تحت المدن الحضرية عدة أنماط فرعية هي:

أ- النمط البيئي للمدينة :

يتشكل النمط البيئي للمدينة نتيجة للعمليات الإجتماعية الدينامية ، والتي تكون ذات تأثير على وضع السكان. وذلك يحدث نتيجة للتعديلات المستمرة للوظيفة وللإقامة خارج إطار مركز المدن. ويصاحب هذه العملية إتساع في رقعة المدينة حول مركزها بإضافة مقاطعات أخرى لها خلال عمليات التوسع ، وهذه العملية تسمى بالدينامية، والتي تتطلب بالضرورة إحداث تغيرات متنوعة لمقابلة الوضع الجديد ، بما في ذلك من مواصلات وسبل اتصال وإنارة وخدمات مختلفة (صحية وتعليمية وترويحية) .

والواقع أن الفحص الدقيق المدينة فى ضوء الحجم سوف يساعدنا علي تحديد مناطق مختلفة بناءً على ذلك فى بعض خصائصها المتعددة، فقد كشفت الدراسات المكثفة حول المدن وخاصة مدينة شيكاغو بالولايات المتحدة الأمريكية عن أن المدينة ترتب طبقاً لسلسلة من المناطق المحيطية بمركز المدينة، والتي يتسم كل منها بخصائص بيئية معينة تميزها عن المناطق الأخرى. وفى ضوء ذلك وجدت خمسة مناطق من هذا النوع في شيكاغو بالولايات المتحدة تمثلت في :

- **منطقة وسط المدينة وهى منطقة مركز الأعمال حيث يعيش فيها قليل من الناس وأرضها غالية القيمة .**
- **منطقة انتقالية وهى تتضمن المناطق المتخلفة Slam Areas والتي تكون فيها المباني فقيرة .**
- **منطقة سكن العمال: وهي المنطقة التي تتمركز بها طبقة العمال متجاورين معا .**
- **أما المنطقة الرابعة وهي منطقة سكنية ، وتتسم بإقامة الأسر الغنية كما توجد بها الفنادق.**
- **وتأتي أخيراً المنطقة الخامسة وهي منطقة تجارية وتضم الناس القادمين من المناطق الأخرى .**
- **والمناطق البيئية بذلك ذات أهمية واضحة حيث يكون لكل منها أحوال اجتماعية معينة من حيث الأسر ومعدل الدخل ومستوى المعيشة وبصورة عامة فإن قيمة الأرض تتناقص كلما بعدنا عن مركز المدينة . والواقع أن تلك المناطق الموجودة في مدينة شيكاغو قد تتماثل مع غيرها من مناطق المدن الأخرى الكبرى مثل نيويورك و سان فرانسيسكو.**

ب المناطق الطبيعية للمدينة :

توجد مناطق أخرى صغيرة نسبياً في المدن يمكن تحديدها باعتبارها ذات خصائص مختلفة، ويمكن أن يطلق عليها اسم المنطقة الطبيعية بمعنى أنها نتيجة لعمليات طبيعية أكثر من كونها نتاج لخطط معينة، وهذه المناطق الطبيعية تنفصل عن بعضها بعوامل طبيعية مختلفة ولكنها قد تتصل ببعضها عن طريق طرق علوية أو قنوات مائية .

جـ – الضواحي Suburbs :

تعتبر الضواحى وحدات بيئية من وحدات المدينة أو المجتمع المحلى الحضري ولا شك فى أن نزوح السكان الى ضواحي المدن ما هو إلا مؤشر من مؤشرات التحضر ، والضواحي أو أطراف المدينة ما هي إلا وحدات اجتماعية مجاورة للمدينة المركزية ومعتمدة عليها على نحو ما ذهب "والتر مارتين ". ويتنوع اعتماد الضاحية على المدينة بحيث تشمل الخدمات التعليمية والصحية والترويحية ، بالإضافة الى اعتماد الضواحي مهنياً على مركز المدينة وحتى لو كانت الضاحية مستقلة إداريا عن المدينة إلا أنها ترتبط بالمدينة وتعتمد عليها اعتمادا واضحا من حيث الخدمات المختلفة التي تقدم في البيئة الحضرية.

وتتميز الضاحية بأنها أكثر المناطق الحضرية بعداً عن مركز المدينة . وقد تكون الضاحية سكنية أو صناعية ، وهي تظل تابعة للمراكز الحضرية على نحو ما أشرنا . ومن أمثلة ذلك عندما نتناول مدينة القاهرة كمدينة حضرية كبيرة نجد أن الضاحية السكنية والضاحية الصناعية متوفرة حول المدينة. وذلك مثل المعادى كضاحية سكنية وحلوان كضاحية صناعية لمدينة القاهرة، إذ أن حلوان بمثابة مدينة تابعة أو مركز حضري فرعي للإنتاج والعمالة ، يقابله في ذلك مدينة المعادى باعتبارها ضاحية سكنية تقع خارج حدود المدينة المركزية.

وقد اهتم علماء الاجتماع الحضرى بالضواحي فتناولها بالتحليل و التصنيف " شاينسى هاريس C Harris في مقالة له انشرت بعنوان " الضواحي" في المجلة الأمريكية لعلم الاجتماع حدد فيها الفروق بين الضاحية السكنية والضاحية الصناعية، وذكر أنه برغم أن الضاحية السكنية هي النموذج المناسب للضاحية، إلا أن الضاحية الصناعية لها بنالها ووظيفتها التي تميزها عن الضواحي السكنية. ولها وظيفتها بالنسبة للمدينة من حيث العمالة والإنتاج .

ولا شك في أن الضواحي السكنية تكون دائماً لفئة مميزة من سكان المدينة من حيث الثراء والمكانة الاجتماعية ، وذلك لأن هذه الفئة هي التي تميل لترك وسط المدينة والإقامة فى الضواحي السكنية على اطراف المدينة بعيداً عن ضجيج المناطق التجارية وازدحام المواصلات.

٢- المجتمعات المحلية الريفية : Rural Community :

يشير المجتمع المحلى الريفى لذلك الشكل من الترابط الذي يصل بين الناس ومؤسساتهم فى المناطق المحلية التى يعيشون فيها في القرية ، والتي تشكل مركز نشاطهم العام. والواقع أن لكل مجتمع ظروفه الخاصة التي تحدد نمط المجتمع المحلى الريفى ، ففى الولايات المتحدة توجد مزارع وتوجد قرى صناعية . ولذلك عندما يتناولون بالتحليل أنماط مجتمع القرية المحلى فإنهم يبرزون شكل القرية الصناعية بجانب القرية الزراعية . والقرى الصناعية تكسب معظم دخلها من الصناعات المحلية الصغيرة الموجودة بها. كما أنها تمد المزارعين المحيطين بها بالخدمات ، غير أن دخلها الرئيسى يعتمد على الصناعة أكثر من مهنة الزراعة ، هذا بالإضافة الى قرى التعدين .

أما القرية الزراعية والتى تكون حرفتها الزراعة فإن مركزها الاجتماعي يدور حول المزارع والتى لا يعيش فيها المزارع ، غير أن نمط القرية الزراعية الشائعة فى معظم أنحاء العالم يعيش المزارعين في قراهم ويذهبون كل يوم لزراعة أراضيهم، ثم يعودون الى منازلهم في القرية في المساء.

أما أنماط أو أشكال المجتمعات المحلية الريفية ففيما يخصها نجد الاتي :

للمجتمعات المحلية الريفية أشكال مختلفة إلا أنها جميعا وبصورة عامة لها سمة أساسية باعتبارها منطقة جغرافية تقدم فيها الحاجات الاساسية للناس ، كما أن روابطهم المحلية لا تمت لأى قوى سياسية ولا تتطابق معها.

ولو تناولنا بالتحليل الريف المصري لوجدنا أن سكان الحضر ٤٤% من اجمالي السكان يقابلها نسبة ٥٦% نسمة سكان الريف ، والشيئ الظاهر ان النسبة المئوية لسكان الريف المصري أخذة فى التناقص بشكل ملموس بالمقارنة بنسبة سكان الحضر الآخذة فى التزايد .

والملاحظ أن نموذج المجتمع المحلى الريفى يشير إلى نمط القرية التي تكون الزراعة محور نشاطها ويكون السكان مقيمون في بيوتهم في القرى، إلا أن حجم النماذج الزراعية

تختلف فهناك القرية الزراعية الكبيرة وهناك الكفور والعزب التي تتبع هذه القرية إداريا وتعتمد على هذه القرية في معظم التسهيلات المتاحة في القرية سواء بالنسبة للجمعيات التعاونية أو بالنسبة للرعاية الصحية أو المدارس ، كما أن هناك القرية الزراعية الكبيرة والتي تتبعها عدة قرى زراعية وهي منطقة إدارية يوجد بها نقطة شرطة أو مركز شرطة ويتبعها عدد من القرى، وغالباً ما تكون البلدان الريفية التي بها مراكز لها نشاط تجاري وتتوفر بها السلع الاستهلاكية التي تمد بها القرى التابعة لها .. وسواء على مستوى بلدان المراكز أو القرى أو العزب والكفور ، فإن النشاط الزراعي أساسي إلا أن بلدان المراكز تتوفر بها حرف مهنية أخرى بجانب الزراعة. ومع ذلك فالزراعة هي النشاط الأساسي لغالبية سكان بلدان المركز وفي ذلك يذهب روبرت رد فيلد R Redfield الى أن المجتمع القروي ما هو إلا نموذج يمثل طريقة معينة للحياة البشرية تعتمد بصفة أساسية على الزراعة. ومع ذلك فإن البعض يذهب الى أن هناك جزاءاً من القرويين يمارسون بعض الحرف اليدوية والصيد، ومن ثم يؤكد هذا الفريق على ضرورة النظر للنموذج الريفي على أساس أنه يشير لنموذج من العلاقات البشرية التي تقوم بين القرويين أنفسهم، وبينهم وبين سكان المدن وبذلك نجد أنه رغم وجود بعض الحرف اليدوية في القرية إلا أنها حرف مهنية تخدم العمل الزراعى والتى تعتبر بمثابة الطابع العام الغالب على القرية ، ورغم أن "ريموند فيرث " قد أكد على إستخدام القرويين للادوات التكنولوجية البسيطة فى الوقت الذي أصبح فيه القرويون يستخدمون الآليات المتقدمة فى مجالات العمل فإن القرية ما تزال محتفظة بطابعها الزراعي وبإعتبارها نموذج من العلاقات البشرية التي تحكم علاقة القرويين ببعضهم وعلاقاتهم بسكان المدينة .

٣ الجيرة الحضرية الريفية :Urban Rural Neighborhood :

تعتبر الجيرة من الجماعات الأولية الأساسية في المجتمعات المحلية إلا أن الجيرة فى الريف تتوفر لها كافة مقوماتها التي تجعل منها جماعة أولية أساسية في المجتمعات المحلية الريفية، أما الجيرة في المدينة فلم تعد تتمتع بنفس الظروف والمناخ الذى يتوفر لها في الريف . وأساس قيام هذه الجماعات توفر نمط العلاقات التي تربط الجيران ببعضهم ، إضافة

إلى المشاعر المشتركة التى تربط الجيران ببعضهم . والجيرة بذلك بمثابة وحدة صغيرة من مجتمع محلى تتوفر بين أعضائها فرص الأتصال المباشر والتفاعل وجهاً لوجه ، كما أنها مستمرة نسبياً .

وتتميز جماعة الجيرة الريفية بالاحتكاك المباشر من خلال الزيارات واستعارة الأدوات وتبادل الخدمات والمشاركة فى الأنشطة الاجتماعية ، وما تزال الجيرة فى الريف تتوفر لها عوامل التماسك والفاعلية ، وهي التي أضعفتها ظروف الحضرية ، إذ أصبحت العلاقات القوية التي كانت تتمتع بها في ظروف المجتمع المحلى الريفي ضعيفة .

بناء المجتمعات المحلية الحضرية والريفية :

نتستهدف من معالجة بناء المجتمعات المحلية الحضرية والريفية الكشف عن طبيعة الجماعات الاجتماعية الحضرية والريفية وخاصة الأسرة كجماعة أولية والنظام الطبقي ، بالإضافة إلى معالجة طبيعة النظام الاقتصادي فى المجتمع المحلي الحضري والريفي. وكذلك الوقوف على نظام الاتصال فى كل من النموذج الحضري والنموذج المحلى الريفي ، وذلك لأن هذه النظم من أكثر النظم تفاوتاً فيما بين الريف والحضر.

١- الأسرة في المجتمعات المحلية الحضرية والريفية :

تعتبر الأسرة الريفية وحدة إنتاجية أساسية كما أن حجمها كبير فالأسرة الممتدة هي السمة الغالبة للأسرة الريفية، كما أن الأسرة الريفية تبدو وحدة وظيفية قوية بالقياس للأسرة الحضرية، التي تقلصت وظائفها . كما أن معدل الطلاق فى الأسرة الريفية محدود بالقياس بمعدل الطلاق في الأسرة الحضرية. وإذا كانت الأسرة الريفية لها أهمية زراعية واضحة بإعتبارها وحدة إقتصادية للإنتاج. فإن

الأسرة الحضرية تفتقد هذه الوظيفة . وهي على العكس من ذلك إذ أنها وحدة إستهلاكية أكثر من كونها وحدة إنتاجية . وإذا كان نمط الأسرة الأبوية الكبيرة أو الأسرة الممتدة هو السائد في المجتمع المحلى الريفى، فإن الأسرة الزواجية هي النمط الغالب في المجتمع المحلى الحضرى ، إضافة لذلك فإن الزواج يكون مبكراً في الأسرة الريفية والتى تميل لكثرة الإنجاب، فى حين أن الأسرة الحضرية لاتحبذ الزواج المبكر وتميل لتقليل عدد الأبناء إضافة لذلك فإن نمط العلاقات السائدة فى الأسرة الريفية ، تختلف عنه بين أعضاء الأسرة الحضرية وذلك لأن لدور الأب وضع مميز بين الأدوار في الأسرة الريفية ، وذلك لأنه بحكم دوره فى الأسرة مسؤول عن توفير كافة متطلبات الأسرة . إضافة الى أن التقاليد تؤكد على وضع دور الأب ، أو كبير السن في الأسرة إذ أن وجود أحد الأجداد بالاسرة يجعله في وضع مميز بالنسبة لبقية أعضاء الأسرة من حيث المسئولية وتوزيع الأدوار وكل ما يتعلق بحياة أعضاء الأسرة .

إضافة لذلك فإن لدور الابن ودور البنت وضعا معيناً بحكم التقاليد الريفية السائدة، وذلك على عكس ما هو سائد فى الأسرة الحضرية حيث يكون لدور كل من الأب والأم وضعاً معدلاَ ومختلفا من حيث المسؤولية والمكانة ، ولم يعد الأب في الأسرة الحضرية يتمتع بنفس الوضع الذي تفرضه عليه التقاليد الريفية، كما أن علاقة أبناء الأسرة ببعضهم علاقة متكافئة في نطاق الأسرة الحضرية أيضاً .

٢ – النظام الطبقى فى المجتمعات المحلية الحضرية والريفية :

ثمة أوضاع يخلقها المجتمع المحلى للتمييز بين أعضائه. ومن هذه الأوضاع الطبقة الإجتماعية وما يرتبط بها من وضع ومكانة ودور فنظام الطبقات الاجتماعية لايخلو منها أى مجتمع بشرى وإن اختلفت من مجتمع لآخر من حيث مؤشراتها والأسس الاجتماعية والاقتصادية والتعليمية التي تقوم عليها وإذا كان " وارنر Warner " يؤكد على الدخل

والمستوى التعليمي والمهنة والسن ونوع الزملاء فى التمييز بين الأفراد، فإن ذلك لتصوره للأساس الذى يرتب فى ضوئه أعضاء المجتمع في مراتب وفئات معينة .

والطبقة بذلك بمثابة فئة من الأفراد تتشابه فى دخلها وفى ثرواتها وفي وضعها الإجتماعي. والواقع أن مؤشرات التمايز بين الأفراد والفئات لا تتماثل بكاملها على مستوى كل من المجتمعات المحلية الحضرية والمجتمعات المحلية الريفية . وذلك لأن العامل الإقتصادي واضح كأساس للتميز الطبقى فى الريف وخاصة ما يتعلق منه بمؤشر الملكية للأراضي الزراعية. بحيث يمكن تقسيم سكان الريف الى طبقات على أساس ملكيتها للأراضى الزراعية حيث تكون الفئة المالكة لمساحات أكبر من الأرض هي التي في وضع مميز بالنسبة للفئات الأخرى الاقل ملكية للأراضي الزراعية ، ويأتي في نهاية ترتيب الفئات في الريف تلك الفئة التى لا تملك أرض زراعية وإنما نقوم بأعمال لخدمة النشاط الزراعى فى القرية .

في حين أن الحال يختلف في المدينة إذ تدخل عوامل أخرى بجانب الدخل وليس ملكية الاراضي الزراعية كمؤشرات للوضع الطبقي منها التعليم والوضع الوظيفي، ونوع المهنة أو النشاط المهني الذى يزاولة الشخص.

إضافة لذلك فإن التمييز بين أفراد الطبقة الإجتماعية الواحدة تختلف مؤشراته في الريف عنها في الحضر، حيث نجد أن التعليم والدور الوظيفي يلعبان دوراً كبيراً في التمييز بين مكانة الأفراد في البيئة الحضرية ، إضافة لذلك فإن عوامل الحراك الرأسي بين الطبقات في المدينة تحكمه عوامل متعددة منها التعليم وإرتفاع الدخل وتغير الدور الوظيفي والنشاط المهني في المجتمع المحلى الحضري . في حين أنه في الريف محكوم بالملكية الزراعية التي يحوزها الشخص.

٣- النظام الإقتصادى فى المجتمعات المحلية الحضرية والريفية :

يتسم النظام الإقتصادي الريفى بتقسيم بسيط للعمل نسبياً ، والحجم الصغير للملكية كوحدة اقتصادية للإنتاج. وبالنسبة لبعض الصناعات التي يقوم بها الريفيون فإنها تنحصر في الأعمال المرتبطة بظروف النشاط الزراعي وذلك مثل صناعة السمن والزبد والجبن إلخ . في حين أن النظام الإقتصادي في المدينة متنوع النشاط والحرف. فمنه التجارى ومنه الصناعي وغيرها من الأنشطة التي يقوم عليها الإقتصاد في المجتمع المحلى الحضرى . والذي يتسم بالتخصص وتقسيم العمل الواضح كما أن النظام الإقتصادي في الحضر ينهض على جهود مؤسسات كبيرة وهيئات منظمة تخضع لتنظيم قانوني وإدارى معين، في حين أن النظام الإقتصادى الريفى يعتمد على الأسرة كوحدة منتجة بصفة أساسية وحتى بالنسبة لوجود بعض المؤسسات التي تخدم العمل الزراعى مثل الجمعيات التعاونية والبنوك الزراعية فهي بمثابة مؤسسات مساعدة وهدفها خدمة العملية الإنتاجية الزراعية لتيسير عملية الإنتاج الزراعي.

٤- نظام الإتصال والتفاعل فى المجتمعات المحلية الريفية والحضرية :

يخضع الإتصال في المجتمعات المحلية الحضرية لتنظيم دقيق ، ويمر بقنوات رسمية معينة ، ويكاد الطابع الشخصى يختفى منه لحد كبير. وذلك لأنه نظام رسمى تحكمه قواعد وقوانين منظمة وتسهر عليه هيئات ومؤسسات معينة ، إضافة الى أنه داخل التنظيمات الإجتماعية الموجودة بالمجتمع المحلى الحضرى يخضع لنفس المعايير وينهض على أساس رسمي تحكمه التعليمات واللوائح والمكاتبات .

في حين أن الإتصال في البيئة الريفية يخضع لتنظيم قانوني معين ، ولا تحكمه لوائح معينة وإنما يخضع لطبيعة العرف والعادات الريفية ، وينهض على أساس التفاعل والإحتكاك المباشر بين سكان الريف والذين يقضون معظم أوقاتهم وجهاً لوجه سواء في الحقل أو في القرية أو خلال الزيارات والمناسبات التى يشتركون فيها جميعاً .

وربما نجد تغيرا كبيرا في تلك الآنة في تلك الاوضاع التي ترسم لنا صورة الاتصال بين الأفراد والجماعات في المجتمع المحلي الريفي حيث انتاب المجتمعات الريفية الكثير من التغيير بحكم دخول التكنولوجيا الاتصالية والتي كان لها باعا طويلا في تغيير عملية خضوع الريفيين بنسبة كبيرة للعرف والعادات والتقاليد إذ أن هذه المعايير بدأت تتغير وتختلف بفعل الاجيال الحديثة .

التقارب بين القرية والمدينة :

من الظواهر المعاصرة المرتبطة بالمجتمعات المحلية الحضرية والريفية ظاهرة التقارب بين الحضر والريف ، أي بين القرية والمدينة وهي التي تعالج في سياق تريف المدينة أو النمو شبه الحضرى . وذلك لأن من علامات النمو الحضرى فى الحقبات الأخيرة نمو المناطق المحيطة بالمدن الكبرى في بعض المجتمعات المتقدمة ، وزيادة السكان فى تلك المناطق بشكل ملحوظ . وبذلك يذهب البعض الى أن الزيادة الكبرى في سكان الحضر ترجع لزيادة سكان تلك المناطق المحيطة بالمدينة ، والتى يزيد سكانها بمعدل ٣٥% في حين أن سكان المدينة يزيدون بمحل ١٤% فقط فى الولايات المتحدة ومع زيادة هذه المناطق واتساع نطاقها بحيث أنها تمتد في إتجاه الريف، نجد أن الريف ينمو ممتدا فى إتجاه الحضر وذلك ما خلق المناطق شبه الحضرية والتي لا تكون حضرية ولا تكون ريفية لأن خصائصها لم تكتمل بعد فى اتجاه أى من التحضر أو التريف. وهي سواء كانت صغيرة أم كبيرة فإنها تتضمن بعض

انماط المجتمع الصناعي والتجارى، بالإضافة لأنماط أخرى من المهن بما فيها الطابع الزراعي. وبذلك نجدها تتميز ببعض الخصائص العامة : منها الدخل المرتفع. والزواج فى سن مبكرة، وارتفاع معدل المواليد، وظهور بعض مجالات الأعمال والتجارة فى نطاقها – إضافة لذلك فإن قدوم المهاجرين من الريف إلى المدينة وإنتشار الثقافة الحضرية بالمناطق الريفية قد ساعد على تقليص الفروق الشديدة القائمة بين الثقافة الحضرية والثقافة الريفية. كما أن سهولة المواصلات وتعبيد الطرق قد ساعد على قدوم الفلاحين بسهولة الى المدن لقضاء حوائجهم المتعلقة بالخدمات المختلفة التى توفرها المدينة ، سواء فى مجال الصحة أو السلع إلخ . كما أن إنتشار وسائل الأعلام وتقدمها وتحسين ظروف الريف قد ساعد على تقليص حدة التقاليد السائدة في الريف إضافة الى أن ميكنة الإنتاج في المناطق الريفية قد ساهم بدوره في دعم هذا الإتجاه .

هذا بالإضافة الى أن الدول المتقدمة قد حققت تقدماً ملموساً في مجال التقريب بين القرية والمدينة ثقافياً واجتماعياً وتنظيمياً ، وإن كانت هذه الفروق واضحة في نطاق المجتمعات النامية، فإن الإتجاه الحالي لنمو المدن وظهور المناطق شبه الحضرية ، أو تريف المدن ، وكثرة المهاجرين الريفيين الى المدن قد ساعد على تحقيق قدر من التقريب بين الريف والحضر.

وفي ضوء ذلك يمكن إستخلاص مجموعة من العوامل التي تعمل على دعم هذا الإتجاه وتحقيق التقارب والإلتقاء بين الحضر والريف ، وهذه العوامل تتمثل في :

– سهولة الإتصال بين القرى والمدن نتيجة للتحسن في سبل المواصلات وتعبيد الطرق.

– الهجرة المستمرة من الريف إلى المدينة وتزايد عدد المهاجرين.

– ظهور المناطق شبه الحضرية حول المدن، وإتساع نطاقها وامتدادها في إتجاه الريف بالإضافة الى امتداد الريف في إتجاهها .

- الإهتمام بتحديث الريف وتحسين أحواله وخاصة تقدم وسائل الأعلام،والاتصال به وبالتالي تحقق الإتصال الثقافي بين الحضر والريف من خلال التليفزيون والراديو وغيرها من وسائل الأعلام.وتكنولوجيا الاتصال .

- إهتمام الدول بتقليل الفروق بين الحضر والريف، ووضع الخطط والبرامج لتضييق هوة الإختلاف بين القرية والمدينة .

وقد أخذت بالفعل سياسة الدول النامية في نفس الإتجاه الرامي لتحقيق التقارب بين القرية والمدينة، وتقليص التفاوت والإختلاف بين طريقة الحياة الحضرية وطريقة الحياة الريفية، لذا فالمستقبل يبشر بتحقيق خطوات تقدمية أكثر فى مجال التقارب بين المجتمعات المحلية الحضرية والمجتمعات المحلية الريفية بالصورة التي تقلل من حدة التفاوت الثقافي والإجتماعي والسلوكي بين الحضر والريف ، وظهور مقومات دعم الطابع الثقافي. والإجتماعي والشخصي العام للمجتمع سواء على مستوى القرية أو المدينة.

الفصل السادس

التحضر والعنف

نتناول في هذا الفصل علاقة عملية التحضر بالعنف في المجتمع وبصفة أساسية داخل المؤسسات التعليمية التي تعد من أكبر المؤسسات المؤثرة على النشء.

فمن المعروف أن المؤسسات التعليمية دائمًا ما ترتبط بالمجتمع المتحضر وخاصة المؤسسة الجامعية حيث تقام الجامعات في المدن، ويلتقي بداخلها الطلاب القاطنين في المدينة أو الذين ينتقلون إليها من المناطق المجاورة، حيث يتمثل هنا مفهوم التحضر الذى يعبر عن عملية من عمليات التغير الاجتماعى تتم عن طريق انتقال أهل الريف أو البادية إلى المدينة وإقامتهم فيها (الخواجة، ٢٠١٤م : ١٦)، وعلى ذلك يمثل منسوبو المؤسسة التعليمية من الطلاب والموظفين والمعلمين أصولا متباينة بعادات وتقاليد واتجاهات مختلفة ربما تؤثر فى شكل العلاقات الاجتماعية التى تربطهم سويًا، وعلى جانب آخر نجد شيوع العنف بين شرائح المجتمعات المختلفة فى تلك الآونة وخاصة بين فئة الشباب فى سن الالتحاق بالجامعة أو ما قبلها بقليل، بل أصبح العنف أحد خصائص العصر الذي نعيشه بكل متغيراته الحضرية، وقد اختارت الباحثة مشكلة "التحضر والعنف في المؤسسة التعليمية" بهدف الكشف عن بعض المؤشرات الدالة على وجود التحضر فى المجتمع وكذلك الكشف

عن مدي تأثير التحضر على انتشار العنف داخل أهم مؤسسة رسمية مؤثرة في المجتمع، ليس عنف الطلاب فحسب ولكن العنف الذى يضم كافة الأطراف الموجودين داخل تلك المؤسسة أي العنف بكافة مصادره ، حيث يرتبط هذا العنف بما نسميه بالعنف الرمزى،

فهناك مظاهر للعنف ومؤشرات للمجتمع المتحضر وربما يوجد ارتباط بينهما.

وتأتى أهمية هذا الطرح من انتشار العنف بين فئة الشباب بصورة بدأت تثير شكوى الأسر والمجتمعات، إذ إنه بات يمثل تحديًا للمجتمعات عالميًا ومحليًا، كما أن ارتباط العنف بمتغيرات الحياة الحديثة حيث التحضر والعولمة والثورة التكنولوجية يكسبه أهمية لدراسته فى الوقت الحالى حيث يسهم التحضر بتقنياته الحديثة في تغير أسباب العنف، وكذلك الأساليب المستخدمة وخاصة بين شريحة مهمة في المجتمع وهي الشباب فمنه يصدر العنف وإليه ترتد نتائجه، هذه الشريحة ترتبط بشكل مباشر ببعض المؤسسات التعليمية .

إنه لمن الأهمية بمكان الاهتمام بكل الظواهر المصاحبة للتحضر نظرًا لأنه فى تزايد مستمر حيث تشير البيانات أن عام (١٩٥٠م) كان (٢٩,٣%) من سكان العالم يسكنون في مناطق حضرية، وفي (١٩٩٤م) وصلت هذه النسبة إلي (٤٤,٨%) ومن المتوقع أن تصل إلى (٦١,١%) عام ٢٠٢٥م (عوض،٢٠١٥ :٨١)، فالهجرة من الريف والهِجر إلى المدن مستمرة وفى تزايد مما جعل التحضر بمصاحباته المختلفة الإيجابية والسلبية تطل علينا ويتحتم دراستها ومنها ظاهرة العنف الذى يتزايد مع وجود العلاقات الثانوية وعلاقات المصلحة وتراجع الضبط الاجتماعى غير الرسمى والانفصال المكانى للأسرة وغيرها.

فلقد أظهرت دراسة عن العنف المجتمعي بالأردن أن تلك الظاهرة تعتبر شبابية حيث كان أغلب الجناة والضحايا من فئة الشباب خلال رصدها لـ ٧٥٢ مشاجرة سجلت لدي الأجهزة الرسمية منذ بداية ٢٠٠٩م إلي نهاية مايو٢٠١٠م (شتيوى، ٢٠١١م)، كذلك تشير الإحصاءات إلى ارتفاع معدل الإساءة البدنية والنفسية للطفل من قبل والديه أو القائمين على تنشئته الاجتماعية، وبالتالى يكون هذا سببًا جوهريا فى التأثير النفسى الشديد على الطفل وزيادة الاحتمال بأن يقوم بسلوكيات عنيفة وشاذة عندما يكبر (Piletsky,2003)، فضلًا عن أن من الملاحظ فى تلك الآونة أن كثيرًا من الأسر ينشغل فيها الوالدان سواء بالأعمال

خارج المنزل أو بأمورهم الخاصة وترك تربية الأبناء على عاتق المربيات والعاملات فى المنازل؛أو في الحضانة، مما يؤثر بالفعل فى التربية المتوازنة للأبناء ويكون له تأثير سيئ عليهم فى مدى انتهاجهم للعنف فى حياتهم عندما يصبحون فى مرحلة المراهقة والشباب إما بتأثير الإهمال أو استخدام الأسلوب العنيف فى التنشئة، حيث تؤثر سنوات الطفل الأولى فى حياته على مستقبله، ومن ناحية أخرى هناك أهمية كبيرة لربط متغير العنف بالتحضر؛ وذلك لزيادة الاتجاه نحوالتحضر والحضرية فى المجتمعات بعامة والمجتمعات العربية على وجه الخصوص حيث ثبت ذلك فى دراسة بعنوان: (التحضر في المملكة العربية السعودية)، هدفت إلى التعرف على سمات النظام الحضري السعودي خلال الفترة من ١٩٩٢م- ٢٠٠٤م ، وتحديد المراحل التي مرت بها عملية التحضر بالمملكة، وقد توصلت الدراسة إلى أنه حدث نمو ملحوظ فى نسبة السكان الحضريين لمجموع سكان المملكة بشكل متزايد من ١٥% إلى ٨١ % خلال الفترة من ١٩٥٠-٢٠٠٤م، واختلفت سمات التحضر من منطقة إلى أخرى (الجابرى، ٢٠٠٨م)، وبما أن عملية التحضر فى تزايد مستمر فمن المتوقع أن يصاحب هذا التحضر مجموعة من الظواهر الاجتماعية السلبية التى يمثل العنف إحدى صورها وتسعى المجتمعات إلى تلافيها، ومنها الإيجابية التى تسعى المجتمعات إلى زيادتها والحفاظ عليها .

فلابد أن نحاول معرفة أسباب هذا العنف، وطرائق علاجه للتوصل إلي مجموعة من النتائج تساعد القائمين علي العملية التعليمية للحد من هذه السلوكيات العنيفة التي ربما انتشرت فى تلك المؤسسة ومن شأنها التأثير السلبى على العملية التعليمية إذا ما تُركت فى ازدياد، أيضًا توضع أمام جميع المسئولين عن فئة الشباب بغرض تنميته وحمايته .

العنف المجتمعى وعنف المؤسسة التعليمية : تحليل سوسيولوجي

وعندما نتحدث عن العنف لابد أن نوجه اهتمامنا إلى معرفة الظروف المجتمعية التى تؤدى إلى السلوك العنيف، ولا ينصب جل الاهتمام على طبيعة السلوك فقط ونستهين بالأسباب، فهناك ترابط بين طبيعة الإنسان وقواه العنفية، فالعنف يرتكز على مقومات وطاقات ودوافع يمكن تعيينها فى تداوُب الطاقة العنفية وثقافة العنف، فهذا التداوُب يساعد على الانتباه إلى معامل الترابط بين الطبيعة والثقافة فى حالة السلوك العنيف، فالإنسان القادر على فعل العنف قادرٌ أيضًا على عدم فعله، وسلوكه هذا مشروط ليس فقط بالقدرة على الفعل ولكنه مرتبط بالظروف التى تسمح بالفعل العنفى أو لا تسمح به، فالفعل العنفى هونتاج التوتر

الفردى أو الجمعى، وفى كل فعل يتلازم الخير والشر، اللاعنف والعنف إذا أخذنا بالاعتبار وضع الفاعل والقابل "أى الواقع عليه العنف" ونسبة الفعل وتفسيره، إذن فهو ظاهرة اجتماعية، فالفرد أو الجماعة يكتسبان السلوك العنفى أو اللاعنفى من خلال الثقافة التى توجه المجتمع وتحكمه من خلال أدوات الضبط الاجتماعى ومعايير السلوك (خليل، ١٩٨٤: ١٥٤)، حيث يظهر العنف عندما يكون ثمة فقدان للرقابة أو فقدان للوعى لدى أفراد معينين أو فى جماعات ناقصة المجتمعية، وبهذه الصفة يمكن وصفه "بالسلوك اللاعقلانى"((بودون وبوريكو،١٩٨٦: ١٥٤)

إذن يرتبط العنف بالنظام الاجتماعي والثقافي والسياسي والديني للمجتمع الذي يولد فيه فلا يجدي أن نخرجه من هذا المحتوى حتي يمكننا أن نتناوله بالتحليل في إطار الحضارة والثقافة والزمن الموجود فيه، وقد عرفه " جارفر " Garver علي أنه اعتداء علي شخص الإنسان، إما في جسمه أو نفسيته أو سلب حريته، كما أنه يعني كل فعل يمارس من فرد أو جماعة ضد فرد أو أفراد آخرين عن طريق التعنيف قولًا أو فعلًا، وهو يجسد القوة المادية أو المعنوية التي يمكن أن تكون فيزيقية أو رمزية (زايد، ٢٠٠٤م :١١)، وعندما يمارس العنف لا يعد من يمارسونه أشخاص عاديين ولكن ربما يتصفون بصفات خاصة كما جاء في مفهوم " آدم"، حيث وصفهم بأنهم لهم قوتهم حيث يلجأون إلي وسائط ضغط بقصد إرغام الآخرين ماديًا علي اتخاذ مواقف لا يريدونها أو القيام بأعمال ما كانوا يقومون بها لولم يتعرضوا لتلك الممارسات، فهو فعل مدمر مدفوع بتفريغ شحنة عدوانية (آدم، ٢٠٠٣م :١٠٤)، وهذه العدوانية التي تتصف بها شخصياتهم هي السبب في وجوده، فالعنف إذن هو الأداة التى تفرغ بها العدوانية شحناتها .

وعلى جانب آخر يعرف العنف سوسيولوجيًا بأنه " ذلك السلوك الذي يلجأ إليه الفرد أو بعض الأفراد تجاه الآخرين بالقصد، والغاية منه إلحاق الأذى والضرر بهم سواء أكان ماديًا أو معنويًا، كما أنه لغة العضلات، وهوتصرف ناتج عن غياب لغة التحاور الحضاري بين طرفين، ويكون الهدف من وراء ممارسة العنف الإكراه والإرغام والإذلال والسيطرة (معتوق، ٢٠١٣م : ٢٣).

وفى هذا الطرح نجد العنف يعتمد على عدد من الصور والأشكال التى ترتبط بالفعل بالثقافة والنظام الاجتماعى والاقتصادى الذى يميز مجتمع البحث، سواء بين الطلاب بعضهم

وبعض وما يمارسونه من عنف مادي محسوس أو غير مادى واعتداءات ظاهرة أو خفية، كذلك العنف الرمزي الممارس من بعض أعضاء المؤسسة على المتلقين للعملية التعليمية، هذا الذى يعرف بأنه ذلك العنف الناعم واللا محسوس واللا مرئي من ضحاياه أنفسهم، والذي يمارس في جوهره بالطرائق الرمزية الصرفة للاتصال والمعرفة، وهوعنف لطيف وغالبًا ما يكون مستترًا وهويعد علي حد قول" بورديو" من أخطر أشكال العنف، وأحيانًا يتم بتواطؤ الضحية التي يقع عليها. (بورديو، ١٩٩٤ : ١٨٩)، يتفق ذلك مع مفهوم " راموث " فهوكل مبادرة أو فعل يتدخل بصورة غير مشروعة وخطرة في حرية الآخر فى التفكير والرأى والتقرير .(بلقاسم، ٢٠١٣: ٢٣٢).

ونقصد بالعنف الرمزى هنا :العنف الممارس من قبل بعض الأعضاء الرسميين في المؤسسة على الصغار ربما بالضغط المادي مثلا وأخذ الدروس الخصوصية أو بطلبات عينية معينة من خلال العملية التعليمية من شأنها الضغط المستتر على المؤسسات ذات العلاقة كالأسرة مثلا ، وهواستخدام الضغط والقوة المرتبطة بالوظيفة استخدامًا غير مشروع بالنسبة للطلاب أو استخدامها بطريقة غير مطابقة للوائح الرسمية استخدامًا من شأنه التأثير على إرادة الطلاب، أيضًا من المرجح ان تصيب بعضهم حالة من الإحباط ينتج عنها ممارسة العنف، حيث إن مفهوم العنف من وجهة النظر النفسية يعرف على أنه نمط من أنماط السلوك ينبع عن حالة من الإحباط نتيجة لصراعات نفسية لا شعورية تنتاب الفرد وتعوقه عن تحقيق أهدافه؛ ولذلك هويلجأ إلى العنف للتنفيس عن قوي الإحباط الكامنة (السمرى، ٢٠٠١م : ١٠٦)، التى يكون من أسبابها ممارسة العنف الرمزى عليه من قِبل آخرين فيرد برد فعل مماثل للسلوك العنيف .

إذن ربما تتمثل نماذج العنف الرمزى هنا في العلاقات التعليمية التربوية في المؤسسة التعليمية، كذلك الهيمنة الذكورية المتمثلة في بعض الهيئات الأكاديمية والإدارية، وهنا نستطيع القول إن هذا الطرح ينطلق من نظرية العنف الرمزي لـ " بيير بورديو" حيث يفترض أن أي نشاط تربوي هو موضوعيًا نوع من العنف الرمزي؛ وذلك بوصفه فرضًا من قِبل جهة متعسفة ثقافيًا، ويعني ذلك كل نشاط تربوي يقدم في المجتمع سواء في المدرسة أو خارجها، والعنف الرمزي يكرس شرعية الوضع القائم، ويعني أن يفرض المسيطرون طريقتهم في التفكير

والتعبير – باعتباره الطريقة الوحيدة الشرعية – بالعنف الرقيق، وهو يعد التربية عنفًا ثقافيًا، فهي الأداة الرئيسة لتجسيد علاقات القوة وإضفاء الشرعية الرسمية عليها (خضر، ٢٠٠٤م : ٤٥)، وهذا ما يحدث عند فرض طرائق التفكير للمعلم مثلًا علي الطلاب باعتبارها الطريقة المُثلي في التفكير التعليمي أو التربوي ورفضهم أن يقوم الطلاب بالتعبير عن الرأي أو قمع آرائهم المختلفة .

ومن ناحية أخري يري "بورديو" أن المدرسة لا تعمل بمعزل عن البيئة الطبقية للمجتمع، حيث تقوم هذه المؤسسة بإعادة إنتاج الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية القائمة، وتحمي مصالح الطبقة المسيطرة، وتعمل علي نقل فلسفتها وثقافتها إلي الطلاب ومن ثم تصبح المدرسة أداة في يد الطبقة الاجتماعية المسيطرة لحماية مصالحها، ويري " بورديو" أنه لا توجد وظيفة للنظام التعليمي بمعزل عن التركيبة العامة للمجتمع، وبمعزل عن العلاقات الطبقية التي تسود المحيط الاجتماعي (خضر، ٢٠٠٤ : ٦٠).

يتحدث "بورديو"هنا عن النظام التعليمي متمثلًا في المدرسة بما تقوم به من نقل ثقافة المجتمع وأوضاعه الاجتماعية والثقافية إلي الطلاب كما هي موجودة بالفعل دون تجويد أو تلافي الأخطاء الحادثة في المجتمع، بل تترك العنان للطبقة المسيطرة لمزيد من فرض سيطرتها الاجتماعية والاقتصادية عن طريق المؤسسة التعليمية بشتي الطرائق الرمزية المتاحة لها، فتكون هناك مساحة لظهور صور العنف التي ربما يعبر عنها وجود التعصب القبلي أو الهيمنة الذكورية وتمجيد الطبقة الإجتماعية .

وعلى جانب آخر نجد "شيبمان" عند تحليله للسلطة والقوة كأحد المظاهر البيروقراطية فى المدرسة يذكر أن المدرس يتمتع بنوع من السلطة والقوة الإدارية والتعليمية التى تجعله قادرًا على إدارة الفصل وتوصيل المعلومات المعرفية، مستخدمًا فى ذلك أنماط الشرعية الرسمية وغير الرسمية، وأنساق الاتصال المختلفة، كما يقوم الطلاب بعملية الطاعة والامتثال للأوامر والقواعد (عبد الله، ٢٠١٦ :٤٥٤-٤٥٥).

ربما يكون هذا الإطار لنسق الشرعية فى التنظيم المدرسى أو المؤسسة التعليمية عموما سببًا فى وجود العنف عند استغلاله من بعض القائمين عليه سواء بقصد أو من دون قصد تحقيقًا للنظام؛ فتتحول عملية استغلال الحقوق؛ لتكون تعديًا على حقوق الآخرين تخيلًا

منهم أنهم يستخدمونها لتوصيل المعلومة وعلى الطرف الآخر الامتثال والطاعة مهما يكن الأسلوب سلبيا أم إيجابيا، وهنا يتحقق وجود العنف فى المؤسسة التعليمية .

وفى هذا السياق نجد العنف لدى الشخص يرتبط بعدم المقدرة على التفاعل والتواصل الاجتماعى وتنمية مهارات التعامل والتحكم فى النفس عند مواجهة المشكلات المختلفة، فهو فعل اجتماعى غير مقبول يتدخل فى صنعه عدد من المعطيات الشخصية والمجتمعية، ودائما ما يعبر عن بعض أوجه الخلل سواء فى الشخصية أو فى بنية الأسرة والمجتمع من حيث شبكة العلاقات والمنظومة القيمية السائدة .

وهنا نجد الارتباط بين هذا الطرح والاتجاه التفاعلى الرمزى لدى "جورج هربرت ميد" مؤسس المنظور التفاعلى حيث يركز التحليل السوسيولوجى عند "ميد" شأنه فى ذلك شأن "شارلز هورتون كولى" على التفاعلات الإنسانية فى المواقف المباشرة والجماعات الصغيرة، حيث اهتم "ميد" بملاحظة أدق صور الاتصال(الابتسامة– التجهم– إيماءة الرأس) وفهم الكيفية التى يتأثر بها سلوك الفرد بالسياق الأكبر للجماعة أو المجتمع، يرى كذلك أصحاب التفاعلية الرمزية أن الرموز جزء مهم من أجزاء الاتصال الإنسانى، ويشترك أعضاء المجتمع فى المعانى الاجتماعية للرموز، ففى الولايات المتحدة –على سبيل المثال– نلاحظ أن التحية ترمز للاحترام، فى حين يدل إمساك قبضة اليد بإحكام على التحدى، وقد تستخدم ثقافة أخرى إيماءات مختلفة للتعبير عن مشاعر الاحترام والتحدى(عبد الجواد،٢٠٠٢ : ٢٣٨–٢٣٩)، فالرموز إذن تؤدى دورًا أساسيًا فى الحياة وفى توجيه سلوك الأفراد فى مواقف التفاعل المختلفة، ولا يمكن فصل الرموز عن ثقافة المجتمع، حيث تعتبر جزءًا لا يتجزأ من المعرفة الثابتة التى ينقلها المجتمع إلى الأفراد من خلال أساليب التنشئة الاجتماعية المختلفة للمساعدة على إدماج الأفراد فى الحياة الاجتماعية (الخواجة، ٢٠١٥ : ١١٦).

وهنا نجد العلاقة الواضحة بين هذا الاتجاه التفاعلى الرمزى والمجتمع الطلابى ؛ لأنه يقوم على التواصل والتفاعل بين الطلاب بعضهم بعضا، وبينهم وبين معلميهم والإدارة وربما يحمل هذا التفاعل بعض الرموز التى تحتوى على العنف مثل نظرات الإزدراء والاستهزاء والتجهم وغيرها .

ومن مفاهيم العنف المرتبطة بالمجتمع الطلابى أن الطالب يلجأ إلي العنف " عندما يكف العقل عن قدرة الإقناع أو الاقتناع فيلجأ لتأكيد الذات"(عبد الحميد، ٢٠١١ : ٤٦)،

يرتبط ذلك المفهوم بالفئة الشبابية حيث الإحساس بالقوة والقدرة على الفعل والقيام بالأدوار المختلفة والتجديد فى المحيط المجتمعى، فإذا ما فشل فى عملية إقناع الآخرين بفكره كى يُتبع أو فشل فى أن يقتنع بفكر الآخرين ليقوم به عن اقتناع وليس قسرًا، هنا يلجأ إلي ممارسة العنف كوسيلة هروب؛ ليؤكد فيها ذاته الشبابية المعبرة عن القوة .

يرتبط ذلك بالمفهوم الذي يعد العنف استجابة سلوكية تتميز بطبيعة انفعالية شديدة قد تنطوى على انخفاض في مستوى البصيرة والتفكير، وعادة ما يؤدى إلى إلحاق الأذى المادى أو غير المادى بالنفس أو الغير (عبد الحميد، ٢٠١١: ٤٧)، وتلك هى طبيعة الحالة الانفعالية لدى الشباب الذى لم يتعود السيطرة على النفس فيقوم بأفعال عنيفة دون وعي حيث تتسبب الحالة الانفعالية فى شل تفكيره فيقوم بأفعاله دون تبصر بكنيتها ونتائجها .

أما العنف من الناحية القانونية فهو يعبر عن الاستعمال غير القانونى لوسائل القسر المادى والبدنى ابتغاء غايات شخصية أو اجتماعية (عياش، ٢٠٠٩م :٦٤)، يدخل أيضًا العنف المعنوى فى إطار العنف القانونى فهو لا يقتصر على وسائل القسر المادى فقط، ربما يملك المُعنف قوانين ولوائح يستغلها بطريقة غير قانونية بما يعود بالضرر علي الأفراد المُعَنَفين علي أساس أن من حقه استخدام تلك اللوائح والقوانين طبقًا لوظيفته التى يشغلها، فتكون هنا العلاقة غير متكافئة مطلقًا بين من يملك القانون ومن يُطبَّق عليه بلا حول له ولا قوة إذا استُخدم بطرائق ملتوية من جهة من يملكونه .

وإذا ما انتقلنا إلي تنميط العنف نجد له أربعة أنماط :

أولها، عنف لا عقلاني غير مسئول يفتقد أي أهداف موضوعية يثور ضدها، والثاني، عنف تؤدى فيه وسائل الاتصال الحديثة دورًا بارزًا في إحداثه، والثالث، العنف الانفعالي، وهونوع من الانفجار العاطفي الذي يعبر عن توترات ومشاعر متراكمة لها أسبابها المختلفة، والنمط الرابع، عنف عقلاني، وهوأكثر أنواع العنف نضجًا وفاعلية (ليلة، ١٩٩٣م :١١٤).

نجد أن هذا التنميط يرتبط ارتباطًا وثيقًا بتناول الدراسة الراهنة للعنف حيث ينطبق النمط الأول علي عنف الشباب من الجنسين بشتي صوره المادية والمعنوية لطبيعة تلك المرحلة العمرية التي كثيرًا ما نلاحظ تهورًا غير مسئول من قبل بعض الشباب في ممارستهم

للعنف، والنمط الثاني يرتبط بعلاقة التحضر بالعنف الممارس في المؤسسة التعليمية ، هذا العنف الذي يرتبط بوسائل الاتصال الحديثة التي في تطور مضطرد مع زيادة التحضر في المجتمع، تلك الوسائل الاتصالية التي نعدها منتجا رئيسا للعنف عند الشباب من الجنسين، أما النمط الثالث الذي يرتبط فيه العنف بالانفجار العاطفي فإن أكثر فترة عمرية ترتبط بالانفجار العاطفي هي فترة الشباب التي يتمثل فيها التوتر في المشاعر، وربما يرتبط كذلك بمحاولات الشباب من الجنسين الذين يأتون من موطنهم الأصلي الريفي أو البدوي إلي المدينة للالتحاق بالجامعة مثلا للتعليم في محاولة للتكيف مع مظاهرها وطريقة الحياة الحضرية فيها، حيث ينتابهم في كثير من الأحيان التوتر في المشاعر والاهتزاز النفسي وعدم التوازن، فيجدون أنفسهم بين تمسك بقيم موطنهم الأصلي مقابل قيم المدينة في محاولة منها لاحتوائهم والسيطرة عليهم، وفي حال صعوبة المواءمة بين هذه وتلك تحدث السلوكيات العنيفة علي النفس وعلي الغير، والنمط الرابع ربما يمثل العنف الرمزي النابع من ذوي العقول المفكرة التي تمثل أساس التفكير العقلاني في المؤسسة التعليمية والتي هي مصدر المعرفة من قبل الأساتذة والإدارة .

وفي هذا المجال نجد العديد من الدراسات التي تناولت العنف سوسيولوجيًا مثل دراسة بعنوان " العنف بين طلاب المدارس في مصر " حيث طُبّقت الدراسة علي سبع محافظات بجمهورية مصر العربية من خلال عينة عشوائية قوامها ٣٦٠٠ من طلاب المرحلة الثانوية باستخدام الاستبيان، وكان من أهم النتائج أن من مظاهر العنف المعاكسات من الطلاب بنسبة (٣٣.٨%)، بينما نسبة (١٠.٧%) لدي الطالبات جاء العنف بسبب علاقاتهن مع الجنس الآخر، واستنتجت كذلك أن من أسباب العنف تقليد الأفلام (٥.٢%)، ربما ذلك يعد ضمن مظاهر الحياة المتحضرة التي ترتبط بالعنف ، أيضًا استعراض القوة (٢٥.٢%)، فرض الرأي (١٥.٣%)، أخذ الحق (٢٢%) ودفع الظلم (٩%).(زايد، ٢٠٠٤ : ١٤) .

وعند الإطلاع على الأدبيات السابقة نجد أن معظم الدراسات المهتمة بالعنف الطلابى ينصب تركيزها علي علاقة العنف ببعض المتغيرات التعليمية، كعلاقته بالمستوي الدراسي والمعدل التراكمي والتخصص، مثل دراسة " الصبيحي والرواجفة " بالأردن، حيث استنتجت أن هناك علاقة ذات دلالة إحصائية بين عنف الطلاب، والمستوي الدراسي، والتخصص، والجنس والمعدل التراكمى، والدخل، والخلفية الثقافية (الصبيحى والرواجفة، ٢٠١٠م)، وعلي جانب

آخر نجد أهم نتائج هذه الدراسة أن من أسباب العنف التعصب للعشيرة والأقارب والأصدقاء، والشعور بالظلم من أنظمة الجامعة مثلا أو أي مؤسسة تعليمية .

ومن الدراسات المرتبطة بالدراسة الحالية، دراسة العيد التى هدفت إلى تقصي ظاهرة العنف الطلابي من وجهة نظر أعضاء المجلس الاستشاري الطلابي في جامعة حائل (فرع الطالبات)، من حيث أشكالها وأسبابها، وسبل علاجها، وقد استخدمت الباحثة المنهج الوصفي التحليلي، وقد تكونت عينة الدراسة من جميع أعضاء المجلس الاستشاري الطلابي في جامعة حائل وعددهن (٤٤) طالبة، وبينت نتائج الدراسة أن العنف الموجه ضد الطالبات أنفسهن جاء في مقدمة أشكال العنف الطلابي انتشارًا، يليه العنف الموجه ضد الأساتذة، وأخيرًا العنف الموجه ضد المؤسسة التعليمية، كما أظهرت الدراسة أن الأسباب التي تعود لأعضاء هيئة التدريس والأسباب النفسية جاءتا في مقدمة أسباب العنف ارتفاعًا ثم التي تعود لسياسة الجامعة وإدارتها، ثم الأسباب الاجتماعية، وأخيرًا الأسباب التي تعود إلى الطالبات (العيد، ٢٠١٦ :٢١٧ – ٢٦٠).

إنه لمن الأهمية بمكان الاهتمام فى مختلف الدراسات فى علم الاجتماع بفئة الشباب التى يطولها التأثر بعنف التحولات العالمية المعاصرة؛ ولأنهم طاقة نشطة فالخوف منهم إذا ما هُمِّشوا وأُبعدوا عن المشاركة فى المجتمع، وإذا كان إشباع الحاجات أساس الحياة ومعيار الانتماء، فإن عدم الإشباع يثير ردود فعل متباينة لديهم ليشكلوا طاقة التمرد والرفض فى المجتمع (القصاص، ٢٠٠٥ : ١٨)، وقبل أن يتأثر الشباب بتلك التحولات العالمية فإنهم يمرون بمرحلة التحضر كطريقة للحياة داخل مجتمعاتهم كخطوة أولى وسلم يصل بهم إلى التغييرات الأعلى والأرقى عالميًا، فيعرفون اقتناء الوسائل الاتصالية الحديثة ثم يثقفون أنفسهم معنويًا ليكتسبوا مهارة الاستخدام ويتحقق لهم التواصل مع حياة شباب آخرين ربما يختلفون عنهم كثيرًا، تدفعهم المقارنة تارة والتقليد تارة أخرى إلى العديد من صور العنف التى نراها متمثلة لدى بعض الشباب أو الفتيات فى المؤسسة التعليمية .

التحضر كطريقة للحياة في مجتمع الدراسة وعلاقته بالعنف :

أشار " ابن خلدون "في مقدمته الشهيرة إلى سمات وخصائص أهل الحضر، وقد سبق في ذلك كل علماء الاجتماع المحدثين، وفيها "إن الترف والنعمة إذا حصلا لأهل العمران

دعاهم بطبعه إلي مذاهب الحضارة والتخلق بعوائدها، والحضارة هي التفنن في الترف واستجادة أحواله والكلف بالصنائع التى تؤنق من أصنافه، وإذا بلغ التأنق في كل واحدة من هذه الصنائع تبعه طاعة الشهوات فتتلون النفس من تلك العوائد بألوان كثيرة لا يستقيم حالها معًا في دينها ولا دنياها، وتتحول بذلك من الكد والتعب في تلبية حاجات العوائد إلي التلون بألوان الشر في تحصيلها؛ لذلك يكثر منهم الفسق والشر والسفه والتحايل على تحصيل المعاش، فنجدهم جريئين على الكذب والمقامرة والسرقة والفجور في الإيمان (ابن خلدون، ٢٠١٣ : ١٤٨).

لقد تحدث ابن خلدون عن الحقائق التى كانت حادثة في زمانه، وفى حقيقة الأمر هو يتنبأ بكل ما يحدث فى زماننا هذا، لقد كانت دراساته دائمًا تتحدث عن الحضر والبدو والمقارنة بينهما حيث يتمثل ذلك البناء الاجتماعى في المجتمع الذى طرأ عليه تحول اقتصادي واجتماعي بعد اكتشاف البترول، ووجود التصنيع، جعل الترف كسمة من سمات التحضر لدى ابن خلدون تحل عليه، مما جعل البعض يتبدل حاله – كما تحدث ابن خلدون في مقدمته– حيث استحداث بعض السمات غير المرغوبة التى تولد العنف، حيث تزيد بعض أهل الحضر عنفًا وتغير من أحوال أهل البدو بانتقالهم للمدن واكتسابهم بعض صور العنف المرتبطة بالحضر.

ومن ناحية أخرى نجد أن التحضر ما هو إلا أسلوب حياة مقولة أطلقها " لويس ويرث "حيث تناوله لموضوع التحضر من وجهة نظر اجتماعية خالصة، فالتحضر طريقة للحياة بما يتضمنه من مقومات اقتصادية واجتماعية وثقافية وسياسية بشرط أن تتجسد هذه الطريقة في أنماط الفكر والسلوك، فيتميز بأنه فكر حضري أو سلوك حضري، وأسلوب الحياة يتحدد من خلال علاقة السكان بالبيئة المحيطة بهم ومحاولاتهم المستمرة للإفادة منها، فضلًا عن نوعية العلاقات الاجتماعية التي تنشأ بين الناس في المجتمع (الكردى، ٢٠٠٠م: ١١١)، حيث يشيع التحضر روح الفردية، فالطابع الثانوى للروابط الحضرية وتنوع الجماعات التى ينتمى إليها الفرد وتعدد المصالح التى توجد بينهم وما تشجعه الحياة الحضرية من روح المنافسة، كل ذلك يجعل الفرد يخطط لحياته بطريقة مستقلة، فساكن الحضر يجب أن تكون لديه القدرة على التحايل على الآخرين وأن يحمى ذاته من تحايلاتهم نحوه، الأمر الذى ينتج عنه نوع من تفتيت الحياة الاجتماعية (الخواجة، ٢٠١٣م : ٢٦)، هذا الذى يدعو إلى انتشار أسباب ومظاهر للعنف داخل المجتمع الحضرى .

ومن المعروف أن هناك عدة أنماط للتحضر، وإذا ما اتجهنا إلي تحديد نمط التحضر السائد في مدينة الأحساء إحدي مدن المملكة العربية السعودية التي تتبع المنطقة الشرقية بها، نجده يتبع نمط التحضر السريع حيث التغيير الجذري في الهيكل الاقتصادي الذي أوجد المستوي الاقتصادي والاجتماعى المرتفع المعروف عن الدول الخليجية والذى فرض عليها أن تدرج تحت هذا النمط، ومن ناحية أخري يتضح بشكل جلي " الهوة الثقافية "التي تحدث عنها " أوجبرن " حيث تسير معدلات التغير المادي بمعدل أسرع من التغير الفكري، وبناءً عليه لا يتمكن المجتمع من استيعاب نمط التغير المادي استيعابًا جوهريًا حقيقيًا لتحقيق الاستفادة المرجوة .

تسهم هذه الظروف الاجتماعية الثقافية المتصلة بالبناء الاجتماعي القائم ونوعية العلاقات الاجتماعية السائدة في جعل المجتمع " تحوليا " انتقل من شكله التقليدي إلي نمطه المحدث بما يترتب عليه من تغيرات ، بعضها جذري يتصل بالأنساق الاجتماعية الرئيسة سواء كانت اقتصادية أو قرابية أو قيمية، وبعضها الآخر سطحي نتيجة الاتصال بين المجتمع والمجتمعات الأخري,(Gist,1959: 80)، فيعد مجتمع مدينة الأحساء أكبر منطقة استخراج للبترول في المملكة، وهي تشهد هجرات بشكل كبير إليها من القري والهجر التابعة لها وراء فرص العمل المختلفة وفرص التعليم العالي في الجامعة؛ لذا نجد بناءها الاجتماعي يحتوي علي الحضر الأصليين فيها وعلي قبائل البدو المتحضرين النازحين من الهجر، وهجراتهم إلي المدينة أحيانًا ما تكون مؤقتة فهم مرتبطون بشكل كبير بموطنهم الأصلي، وما زالت رواسب وبقايا قيمهم البدوية هي التي تتحكم في تعاملاتهم وعلاقاتهم، ومنهم بصفة خاصة الطلاب الذين يأتون إلي الجامعة التي تعتبر عريقة في المنطقة ، ومنهم أيضًا الذين يأتون من القري أي الريفيين والذين يقطنون المدينة بما يمتلكون من قيم ريفية تداخلت مع قيم الحضر حيث الاحتكاك في التعليم والمهنة والثقافة.

وفى هذا السياق أدت العلاقات الاقتصادية الدولية دورًا كبيرًا في تصنيف هذا المجتمع باعتباره نمطا للتحضر السريع حيث تصدير البترول للدول المتقدمة، الأمر الذي جعل هناك ارتفاعًا في مستوي المعيشة حيث السيولة النقدية التي أوجدت ثقافة الترف والسياحة الأوربية، إذ يتجه بعض قاطنى المجتمع إلى السفر وشراء الكماليات والسلع الترفيهية التي

تنقلنا إلي محور رئيس في عملية التحضر وهو التلاقح الثقافى المؤثر فى اكتساب بعض السلوكيات التى استحدثت فى المجتمع واقتناء مستحدثات الدول المتقدمة.

وفيما يتعلق بالتلاقح الثقافي نجد صورة أخري متمثلة في هذا المجتمع حيث العمالة الوافدة من الأجانب التي تعمل في جميع مناحي الحياة، وهوأحد أهم أسباب التغير في النسق القيمي للأفراد داخل المجتمع، يرتبط التغير في الإطار التنظيمي مع استحداث للشركات والمؤسسات المشرفة علي تلك الهياكل الاقتصادية بوجود تلك القاعدة الاقتصادية المتمثلة في إنتاجية المواد البترولية وتصديرها، فهذه الشركات معظمها من الخبراء الأجانب الذين أتوا من بلادهم بثقافاتهم الأوربية التي أثرت بشكل كبير في بعض التغيرات داخل النسق القيمي لدي الأفراد في المجتمع .

يعد ذلك التغيير فى النسق القيمى أحد أهم مقومات التحضر السريع كما جاء فى كتابات " أوسكار لويس " أن البناء القيمي السائد بالمجتمع الحضري يعد مؤشرًا مهمًا لظاهرة الحضرية، وأن التغير الذي يحدث في هذا البناء القيمي يعد سببًا للتحضر وفي نفس الوقت هونتيجة له (Lewis,1969:60-70)، وبناء علي ذلك تنطبق مقولة "ليرنر" بأن عملية التحضر تشير إلي تحول الأفراد من النمط التقليدي في الحياة إلي نمط آخر أكثر تطورًا وتعقيدًا وتقدمًا (Lerner , 1958: 78)، حيث ضعف الروابط القرابية التي تتيح للفرد الانتقال من الحياة الجماعية بكل تماسكها إلي حياة الفردية بانعزاليتها .

وهنا نجد تلك الفردية والانعزالية محققة لا محالة في هذا المجتمع بل باتت مشكلة واضحة علي مستوي الأسرة والمجتمع حيث ارتفاع المستوي الاقتصادي بصورة جلية أتاحت لمعظم أفراد المجتمع اقتناء أحدث ما يوجد علي مستوي العالم من الأجهزة الذكية التي ينشغل بها الجميع والتي استغنوا بها عن العلاقات الأولية سواء الأسرية أو القرابية أو علي مستوي الصداقات، فأصبح التواصل عن طريقها، فضلًا عن كل ما عُرض عن طريقها من برامج تحمل ثقافات مغايرة لثقافات المجتمع، ربما تحمل منها ثقافة العنف وأساليبه أو تحمل ثقافة فكرية أخري تصل بها في النهاية إلي انتشار العنف كسلوك بين الشباب والشابات، كانتشار البويات علي سبيل المثال بصورة كبيرة سواء علي مستوي التلاميذ في المدارس أو علي مستوي الجامعات التي يتمتع فيها الطلاب بحرية أكثر، حيث إن وجود طالبة " بوية " (أي الطالبة

المتشبهة بالرجال من كلمة boy) وسط الطالبات في الجامعة تكون محورًا لانتشار السلوكيات العنيفة بين الطالبات بعضهم بعضًا وبينها وبين الطالبات في مجتمع يتصف بالمحافظة .

وبما أن المجتمع ما زالت فيه بقايا نظام القبلية والافتخار بالأنساب فالتفاخر هو مثار السلوكيات العنيفة والمشاجرات التي تنشب أحيانًا بين بعض الطلاب، وهنا يقول " عاطف غيث " إن المهاجرين من الريف للمدينة دائمًا ما يحتفظون بالرواسب الريفية وآثارها تظل عالقة بسلوكهم أول الأمر ثم يتحررون منها تدريجيًا حتي تختفي في الجيل الثالث وما بعده (غيث، ١٩٨٧م : ٩٦)، ولكن ليس فقط المهاجرون من الريف بل من الهِجر التي يقطنها البدو، فمجتمع الأحساء بالمملكة يغلب عليه الطابع البدوي مع الحضري حيث تقطنه عائلات من البدو المتحضرين .

إن الظروف العائلية عند الريفيين والبدو تفرض علي الشخص أنماطًا من السلوك لا يقدر علي مخالفتها فهو ليس حرًا علي الإطلاق بل مقيدًا ببعض الأعراف الجبرية والعادات والتقاليد، بعكس الحياة الحضرية التي ينتقل لها أو يكتسبها بالانفتاح علي الثقافات الجديدة فهى أكثر ديناميكية حيث يبدأ رحلة التحرر ومحاولة التكيف معها في مجتمع التعاقد Gesellschft، كما يطلق عليه " تونيز" حيث تقوم العلاقات الاجتماعية علي الانفصال فكل فرد يعتمد علي نفسه بمعزل عن الآخرين ويشعر بحالة من التوتر إزاء الآخر، فهناك تناغم بين الإرادات ولكنه تناغم يتم بطريقة غير شخصية عن طريق التعاقد فبدلًا من إرادة الفطرة في المجتمع المحلي Gemeinschaft نجد هناك الإرادة العقلية Rational Will. (الجوهرى وشكرى١٩٨٣م :٢٤٦)

ومن المفترض أن تكون تلك الإرادة العقلية " رشيدة " لو أنها تلتزم بالعقلانية في التفكير والتصرف والسلوك، ولكننا نجد مع تلك الإرادة العقلية في المجتمع المتحضر ما يمكن أن نسميه " بالفقر المعرفي " أي الافتقار إلي المعرفة والثقافة كلما اتجه الناس نحو التحضر والسعي وراء الاقتناء التكنولوجي دونما تفكير في الاستفادة الجدية منه خاصة عند طلاب الجامعة حيث استخدام الأجهزة الذكية في الرفاهة وتضييع الوقت، إذن ثقافة العنف تنتشر بين المجتمعات المختلفة الفقيرة والغنية، المتحضرة وغير المتحضرة في البيئة العلمية وغير

العلمية، فالكل يتعرض للإصابة بهذا الداء الخطير، إذا ما أهمل الجانب الديني الحقيقي للحياة. (الكروان، ٢٠١٢ : ٣٣) .

وفي هذا السياق أوضح كل من "سوروكن" و"زيمرمان" مقياسًا للتمييز بين الريف والحضر يتمثل في ثمانية اختلافات منها : تجانس ولا تجانس السكان، حيث إن سكان الحضر أقل تجانسًا من سكان الريف؛ وذلك في سماتهم سيكولوجية كانت أو اجتماعية، مثل معتقداتهم ولغتهم وأنماط سلوكهم، والتدرج الاجتماعى، حيث يظهر مفهوم الطبقية بوضوح في المدينة أكثر من الريف، نسق التفاعل إذ تتميز المدينة بالعلاقات الشخصية السطحية قصيرة المدى النفعية، فالإنسان يتفاعل في المدينة كرقم وعنوان، حيث قيل سكان المدينة أشبه بالأشباح في علاقاتهم مع بعضهم (غيث، ١٩٨٧م : ٨٤).

يتمثل ذلك بالفعل داخل الحياة الجامعية فعلى سبيل المثال، عند إسناد الواجبات الجماعية للطالبات يعملن مجموعة (جروب) علي برنامج (الواتس آب) على هواتفهن المحمولة بأرقامهن وتتبادلن أجزاء العمل المسند إليهن دون أن تعرفن بعضهن، حتى في قاعة الدرس عند تقديم العمل لا تعرف الطالبات أسماء بعضهن ولا الأشكال إلا أرقامهن علي الأجهزة، وأحيانًا ما تحدث الخلافات بينهن على البرنامج بخصوص الواجب ولكن في القاعة لا تعرف كل منهن من صاحبة الخلاف؛ لأنهن يجهلن بعضهن بعضا .

كما تتصف الحياة في الحضر بتعقدها وتنوع مشكلاتها الأمر الذى أبرز أهمية الضوابط الاجتماعية الرسمية في تحديد الحقوق والواجبات، ومن مظاهر هذه الحياة، اهتزاز المعايير واحتقار القيم، كرفض الأجيال الشابة أفكار الأجيال السابقة، وزيادة مفهوم المادية، حيث تسيطر الأهداف المادية علي الأخلاق التربوية وظهور إشكالية تصدع المعايير (غيث، ١٩٨٧: ٨٥)، وإذا ما تصدعت المعايير أصبحت الأخلاقيات غير ذات معنى وتقزمت القيم المعنوية بجانب القيم المادية المعبرة عن العصرية والتحضر وخاصة بالنسبة للشباب .

العوامل المجتمعية المساعدة علي انتشار العنف داخل المؤسسة التعليمية :

إن مشكلة العنف في المؤسسة التعليمية لايمكن أن نحمل أوزارها لمجتمع اتلك المؤسسات فقط ومن داخلها من طالب ومعلم وإدارى، ولكن في الحقيقة هذا العنف يشير إلي

اختلال في البناء الاجتماعى بما يحتويه من منظومة أفكار وقيم وممارسات، وربما أهم مؤثر في تكوين المجتمع في الوقت الحاضر هووسائل الإعلام والاتصال بما تنقله لنا عبر قنواتها من مشاهد للعنف يحاكيها الصغير والكبير، وتكرارها على العين والأذن يؤدى إلى التعود عليها وعدم استهجانها واعتبارها مألوفة، فأصبح العنف في حياة المدينة علي وجه الخصوص أسلوب حياة لكثير من الفئة الشبابية، حتى تمثل العنف فى طريقة المزاح بين الشباب بعضهم بعضا وكذلك الشابات .

فوسائل الإعلام والاتصال أصبحت المرجعية الأولى للشباب بكل ما تحويه من مادة إعلامية مثيرة للتصرفات العنيفة التى من الممكن القيام بها دون محاسبة للنفس أو رجوع إلى الضمير؛ وذلك لعدم شعور الشباب بأنها خطأ بسبب كثرة الاعتياد عليها، هذا فى غياب دور الأسرة كجماعة مرجعية أولي ووجهة رقابية تمارس ضبطًا اجتماعيًا غير رسمى على أفرادها .

أيضًا ثمة علاقة بين زيادة عدد أفراد الأسرة والعنف، فمن المعروف أن نمط الأسرة النووية الصغيرة هو السائد في المجتمعات الحضرية، ولكن ذلك لا ينفي وجود بعض الأسر كبيرة العدد والأمر نسبي من مجتمع لآخر، وفي هذا الصدد أثبتت بعض الدراسات العالمية (ووتن wooton 1959، ويست west 1967) أن الأسرة كبيرة العدد لها علاقة بالعنف وجنوح الأحداث، حيث إن العائلة الكبيرة تعانى من الاكتظاظ وضعف الضبط الاجتماعي من الآباء، كما أوضح (Newson 1968) أن الأم في الأسرة الصغيرة لديها فرص أكثر لملاحظة أبنائها والتحدث معهم (مانع، ١٩٩٧: ٤٢)، ومن الملاحظ أن بعض المجتمعات في بعض الدراسات الاجتماعية تميل إلي كثرة الإنجاب، وبالتالى الأسر كبيرة العدد، حيث يسمح المستوى الاقتصادى للبعض إلي إعالة أسر من هذا النمط، ربما يؤثر ذلك على عملية الضبط الاجتماعى داخلها

وفى الوقت نفسه نجد إحصاءات الطلاق في زيادة مطردة عالميًا وإقليميًا ومحليًا، بما يطبعه التفكك الأسرى من طابع الإحباط للأبناء حيث يبدأون فى التنفيس عما بداخلهم فى صورة سلوكيات عنيفة فى المجتمع المدرسي أو الجامعي وخاصة في المجتمع الاخير الذى يسمح بحرية أكبر للطلاب والطالبات عن مجتمع المدرسة، ومن ثم يأتى الإحباط ضمن أكبر العوامل المسببة للعنف حيث الضغوط الاجتماعية الخارجية على ذات الشاب أو الفتاة الجامعية، ربما لعدم التكيف مع الحياة الجامعية المفتوحة أو لمرارة إحساس بعضهم بتلك الفروقات الواضحة بين الأغنياء والفقراء، بين أبناء العائلات التى تشغل مكانات اجتماعية مرموقة داخل المجتمع وغيرها من العائلات المتواضعة، والشخص المحبط يميل إلى العنف

بدرجة أكبر من غيره، حيث إن شعوره بغياب بعض القيم كالعدالة والتسامح والإيثار والشعور بالمسئولية، يزيده عنفًا بشتى صوره .

يدخل ضمن أسباب العنف التى ترتبط بالطلاب والفئة الشبابية : الاستثارة المباشرة من الآخرين كالتعرض للفظ خارج أو مهين، أيضًا تعلم العنف بالملاحظة (أى التقليد) حيث يتعلم الفرد طرقًا جديدة لإيذاء الغير لم يكن يعرفها من قبل.(لال، ٢٠٠٧م : ٣)

المراجع :

- **ابن خلدون، عبد الرحمن محمد (٢٠١٣). مقدمة ابن خلدون، لبنان: المكتبة العصرية .**

- أمقران، عبد الرازق (٢٠٠٩).عنف الأستاذ الجامعى " تحليل وضعيات بيداغوجية معيشة "، من\ فى سوسيولوجيا المجتمع "دراسات فى علم الاجتماع"، الجزائر : المكتبة العصرية .
- آدم، قبي (٢٠٠٢). رؤية نظرية حول العنف السياسي في الجزائر، مجلة الباحث، (١) .
- بورديو، بيير(١٩٩٤). العنف الرمزى"بحث فى أصول علم الاجتماع التربوى"، ترجمة\ نظير جاهل، بيروت:المركز الثقافى العربى .
- بودون، ريمون وبوريكو، فرانسوا (١٩٨٦). المعجم النقدى لعلم الاجتماع، ترجمة\ سليم حداد، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية .
- بلقاسم، على بوعناقة (٢٠١٥).علم الاجتماع التربوى "مدخل ودراسة قضايا المفاهيم"، منشورات جامعة محمد خيضر، الجزائر : دار الهدى .
- توزيع أعداد الطلاب والطالبات (٢٠١٤). إدارة الإحصاء والبيانات، جامعة الملك فيصل.
- التقرير السنوى، إدارة التخطيط والميزانية (٢٠٠٩). جامعة الملك فيصل
- التقرير السنوى، إدارة التخطيط والميزانية (٢٠١٠) . جامعة الملك فيصل
- التقرير السنوى، إدارة التخطيط والميزانية (٢٠١١) . جامعة الملك فيصل
- الجابرى، نزهة يقظان (٢٠٠٨).التحضر في المملكة العربية السعودية، مجلة جامعة أم القرى للعلوم التربوية والنفسية، ٢٠ (٢) .
- الجوهرى، محمد وشكرى، علياء (١٩٨٣). علم الإجتماع الريفي والحضري، القاهرة : دار المعارف، ط٢ .
- خليل، أحمد خليل (١٩٨٤).المفاهيم الأساسية فى علم الاجتماع،، بيروت : دار الحداثة للنشر.
- الخواجة، محمد ياسر(٢٠١٤). علم الاجتماع الحضرى "بين الرؤية النظرية والتحليل الواقعى"، المملكة العربية السعودية: مكتبة المتنبى.
- الخواجة، محمد ياسر (٢٠١٥). المدخل إلى علم الاجتماع المعاصر، المملكة العربية السعودية:مكتبة المتنبى.
- خضر، محسن(٢٠٠٤). بيير بورديو"فيلسوف العنف الرمزى" الكويت : مجلة العربى، وزارة الإعلام،(٤٩٧) من ١

. WWW.alarabimag.com / Article.asp?Art=16498id=176

- الدراوشة، عبدالله سالم وآخرون(٢٠١٧). أسباب وأنماط العنف الطلابي داخل حرم جامعة الحسين بن طلال من وجهة نظر الطلبة، الأردن: المجلة الأردنية فى العلوم الاجتماعية، ١٠(١).من

http://search.mandumah,com\record808340

- زايد، أحمد وآخرون (٢٠٠٤). العنف بين طلاب المدارس، التقرير الاجتماعي، القاهرة :المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية، قسم بحوث الجريمة، مج١ .
- السعدى، إبراهيم حبيب الكروان (٢٠١٢). ثقافة العنف والعوامل المغذية لها " قضايا فكرية معاصرة"، عمان: مؤسسة عمان للنشر .
- السمرى، عدلى (٢٠٠١).العنف فى الأسرة تأديب مشروع أم انتهاك محظور، الإسكندرية :دار المعرفة الجامعية .
- شتيوى، موسي(٢٠١١). العنف المجتمعي في الأردن " الواقع والأسباب والحلول "، من املخص لبعض الندوات والمؤتمرات التى تناولت العنف المجتمعى، الأردن : إدارة الدراسات والأبحاث والتطوير، المديرية العامة للدفاع المدنى .
- الصبيحي، فريال والرواجفة، خالد (٢٠١٠). العنف الطلابي وعلاقته ببعض المتغيرات " دراسة وصفية على عينة من الجامعة الأردنية "، الأردن : المجلة الأردنية للعلوم الاجتماعية، ٣(١) .
- عبد الحميد، صلاح (٢٠١١) . ثقافة العنف، القاهرة : دار أقلام للنشر .
- عبد الله، عبدالله محمد عبد الرحمن(٢٠١٦). النظرية فى علم الاجتماع "النظرية الكلاسيكية"، المملكة العربية السعودية : مكتبة المتنبى .
- العيد، الخامسة صالح (٢٠١٦). ظاهرة العنف الطلابي أشكاله وأسبابه ودور عمادات شئون الطلاب في معالجته من وجهة نظر أعضاء المجلس الاستشاري الطلابي في جامعة حائل(فرع الطالبات)، مصر : مجلة القراءة والمعرفة، من ١ http://search.mandumah,com\record808341 .
- عياش، ليث محمد (٢٠١٣). سلوك العنف وعلاقته بشعور الندم، عمان : دار صفاء للنشر غيث، محمد عاطف (١٩٨٧).علم الاجتماع الحضرى "مدخل نظرى"،الإسكندرية : دار المعرفة الجامعية.
- عوض،السيد حنفي (٢٠١٥). إنسان المدينة، الإسكندرية : المكتب الجامعي الحديث
- الكردى، محمود (٢٠٠٠). التحضر " دراسة اجتماعية " القاهرة : بل برنت .

- قراءات معاصرة فى نظرية علم الاجتماع (٢٠٠٢). ترجمة \ مصطفى خلف عبد الجواد، مطبوعات مركز البحوث والدراسات الاجتماعية، كلية الاداب جامعة القاهرة .
- القصاص، مهدى (٢٠٠٥). عنف الشباب "محاولة فى التفسير" دراسة ميدانية، مجلة كلية الآداب، جامعة المنصورة، (٣٦) .
- لال، زكريا يحيى (٢٠٠٧). العنف فى عالم متغير، الرياض : مكتبة العبيكان .
- ليلة، على (١٩٩٣).الشباب العربى" تأملات فى ظواهر الإحياء الدينى والعنف "القاهرة : دار المعارف، ط٢ .
- مانع، على (١٩٩٧).عوامل جنوح الأحداث فى الجزائر"نتائج دراسة ميدانية"، الجزائر : ديوان المطبوعات الجامعية.
- معتوق، جمال (٢٠١٣). مدخل إلى سوسيولوجيا العنف . القاهرة : دار الكتاب الحديث – ليلى أحمد محرم ١٩٩٠«مؤشرات ومظاهر النمو العشوائى للمجتمعات العمرانيه» ندوة حمايه البيئة والسكن القانونى ٍ
- نورة، قنيفة (٢٠١٣).الكتابات الجدارية في الوسط الجامعي .. الوجه الآخر للعنف الرمزي " دراسة استطلاعية بجامعة العربي بن مهيدي أم البواقي "، الجزائر : مجلة دراسات وأبحاث، (١٠)
- نورة، قنيفة (٢٠١٠). المرأة والعنف فى المجتمع الجزائرى"دراسة ميدانية على عينة من النساء المعنفات بمصلحة الطب الشرعى بالمستشفى الجامعى بقسنطينة"، رسالة دكتوراة غير منشورة، الجزائر: جامعة منتورى، قسنطينة .

- جير الدبيريز : مجتمع المدينة في البلاد النامية "دراسة في علم الاجتماع الحضري ، القاهرة، دار نهضة مصر ، د.ت ، ترجمة | محمد الجوهري. .

- حسن الخولي : الريف والمدينة في مجتمعات العالم الثالث مدخل اجتماعي ثقافي" ،القاهرة دار المعارف .

-حسين عبد الحميد احمد رشوان (٢٠٠٥) : مشكلات المدينة " دراسة في علم الاجتماع الحضري، مؤسسة شباب الجامعة.

- زيدان عبد الباقي : علم الاجتماع الحضري والمدن الحضرية ، القاهرة ، النهضة المصرية .

- فادية عمر الجولاني (١٩٩٣) علم الاجتماع الحضري ،الاسكندرية، مؤسسة الجامعة.

- ف .ف كوستيلو (١٩٨٣) : التحضر في الشرق الأوسط، الاسكندرية، دار المعرفة الجامعية ، ترجمة | غريب محمد سيد .، عبد الهادي محمد .

- روبرت بارك وآخرون (١٩٨٨) : المدينة ، جدة ، وكالة تبر للنشر، ترجمة | سيد عبد المعطي أبو بكر أحمد.

- صافي عبد الباقي (٢٠١٩) علم الاجتماع الحضري .

- سعيد ناصف (٢٠٠٦) : علم الاجتماع الحضري " المفاهيم والقضايا والمشكلات ، القاهرة، دار النجوم للطباعة .

- السيد عبد العاطي السيد (٢٠١٧) علم الاجتماع الحضري " مدخل نظري ، القاهرة دار المسيرة للطباعة والنشر ، ج ١،

- السيد الحسيني (١٩٩٣) : المدينة دراسة في علم الاجتماع الحضري، الاسكندرية ، دار المعرفة الجامعية.

- السيد حنفي عوض :(١٩٨٧) علم الاجتماع الحضري، القاهرة ، الأمل للطباعة والنشر،ط٢ .

- سعيد أحمد هيكل (٢٠١١) علم الاجتماع الحضري، دار أسامة للنشر.

- عبد المنعم شوقي : مجتمع المدينة ، القاهرة، دار النهضة العربية للنشر.

- عبد الإله أبو عباس ، إسحق يعقوب: الاتجاهات المعاصرة في الدراسات الحضرية الكويت وكالة المطبوعات.

- عبد الحميد محمود سعد (١٩٩٠) دراسات في علم الاجتماع الريفي والحضري القاهرة دار الثقافة للنشر.

- على الحوات (١٩٩٠) : التخطيط الحضري، بنغازي ، الدار الجماهيرية للنشر.

- محمد ياسر الخواجة (٢٠١٥) : علم الاجتماع الحضري بين الرؤية النظرية والتحليل الواقعي ، مكتبة المتنبي .

- محمد عاطف غيث (١٩٩٠) : علم الاجتماع الحضري " مدخل نظري" ، الاسكندرية، دار المعرفة الجامعية .

- محمد عاطف غيث ، السيد عبد العاطي السيد (١٩٨٦): المجتمع الحضري ، الاسكندرية ، دار المعرفة الجامعية ، ك١

- محمود الكردي (١٩٨٦) التحضر" دراسة اجتماعية القضايا والمنافع ، القاهرة . محمود الكردي (١٩٨٩) التحضر " دراسة اجتماعية الأنماط والمشكلات، القاهرة دار المعارف ك٢ .

Piletsky, Oleg(2003):Youth,Volience and Visual harassment \ www.Inter.disciplinary.net\ati\Volience\prog3.htm

Gist . N (1959). The Urban community " in : Guittler , J. (ed) : " Review of sociology

.Analysis of Decade , John Wiley, N Y

Oscar,Lewis (1961). Life in a Mexicon village , Holt, Rinehart and Winston , N.y

Lerner, , Daniel (1958), The Passing of Traditional Society: Modernizing the Middle

East. New York: Free Press

.Robertson , Lan(1977). Sociology,Worth Publishers,N.Y

Zanden Vander ,Games,W(1990). Sociology, (2nd.edition) N.Y,Mc grow hill

Publishing